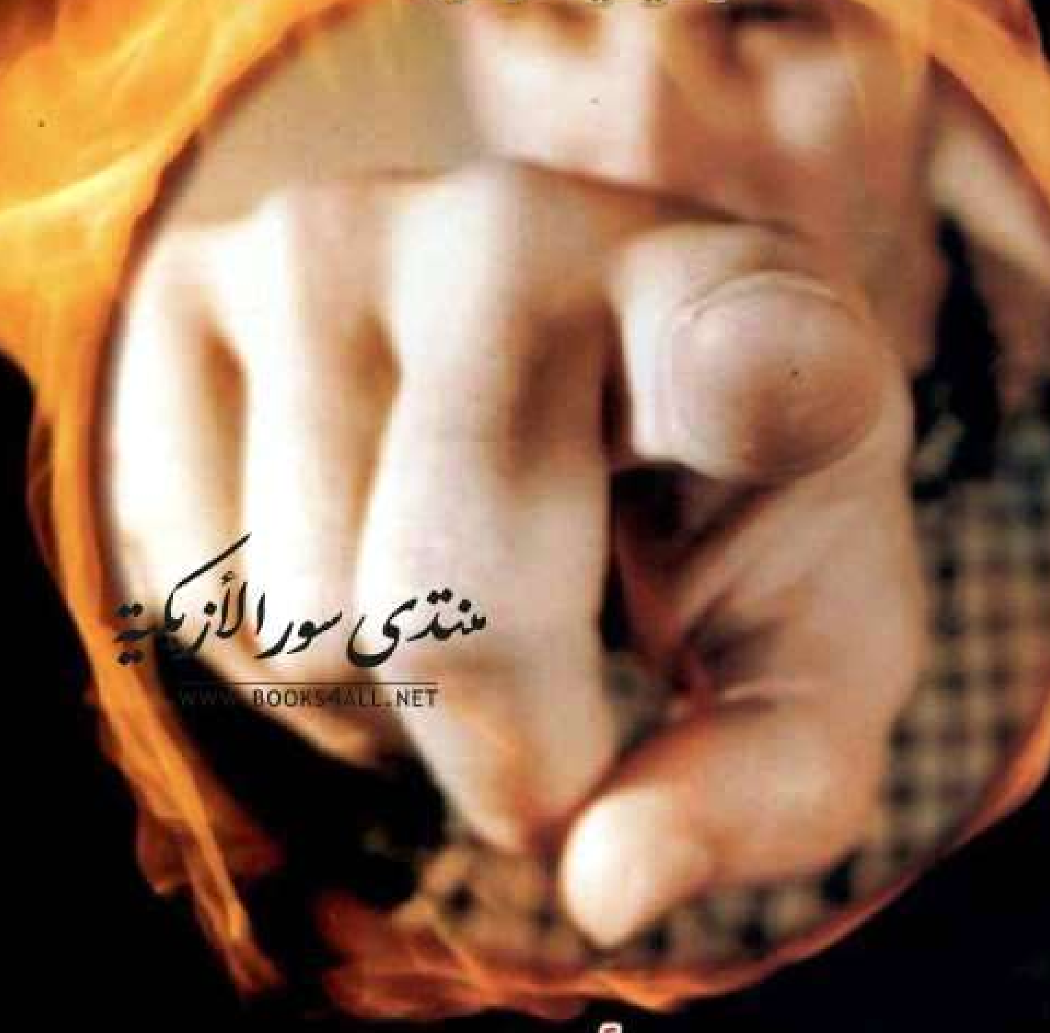
في بيتنا مراهق

متطرفٍ دينياً

دراسة نفسية اجتماعية للدوافع
وكيفية الوقاية



تأليف
د. زينب سالم

مركز الكتاب للنشر

في بيتنا مراهق متطرف دينياً

دراسة نفسية اجتماعية للدوافع
وكيفية الوقاية

تأليف

دكتورة/ زينب سالم

دكتوراه دراسات الطفولة النفسية والاجتماعية
عضو الجمعية العالمية للصحة النفسية

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦م

مركز الكتاب للنشر

مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة

تليفون: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس- المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

http://www.top25books.net/bookcp.asp.
E-mail:bookcp@menanet.net

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ .

[البقرة : ١٤٣]

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ .

[النساء : ١٧١]

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ .

[البقرة : ١٨٥]

إهداء

- إلى من كان فى عالم الغيب أثناء إعداد هذا الكتاب والآن يجلس بجوارى عند مراجعته .. ابنى الوحيد بل حبى وأملى الوحيد فى تلك الحياة خليل الرحمن "إبراهيم".
- إلى روح من علمتنى معنى الحب ... أمى .
- إلى روح من غرس فىَّ قيمة العلم ... أبى .
- إلى صاحب الفضل الأول فى خروج هذا العمل إلى النور ... زوجى .
- إلى كل أسرة ... تهتم بفهم سلوك مراهقيها للوصول إلى خير الطرق والأساليب النفسية والتربوية فى التعامل معهم .
- إلى المراهقين الأعزاء ... تعلموا كيف تعبروا عن آرائكم وكيف تحترموا آراء وعقيدة الآخرين .

« المؤلفة »

الفهـــرس

الموضـــوع | الصفحـــة

الموضـــوع	الصفحـــة
(٥) دوافع التطرف الدينى	٥٤
(٦) النظريات المفسرة للتطرف الدينى	٧٠
أ- التفسيرات الاجتماعية للتطرف الدينى	٧٠
* النظرية البنائية الوظيفية	٧١
ب- التفسيرات النفسية للتطرف الدينى	٧٣
١- نظرية التعلم الاجتماعى	٧٣
٢- الإحبـــاط - العـــدوان	٧٤
٣- التطرف السلوكى كأسلوب استجابة	٧٥
(٧) موقف الدين الإسلامى من التطرف الدينى	٧٨
- الفصل الثانى : «المراهقــــون»	٨٧
* مقدمـة	٨٩
(١) تعريف المراهقة	٩٢
(٢) المراهقة والبلوغ	٩٨
(٣) النظريات المفسرة لمرحلة المراهقة	١٠١
١- ستانلى هول والاتجاه البيولوچـى	١٠١
٢- مرجريت ميد والاتجاه الاجتماعى	١٠٢
٣- سولنبرجر والاتجاه البيولوچى الاجتماعى	١٠٤
٤- فرويد والاتجاه النفسى الجنسى (السيكودينامى)..	١٠٥
٥- إريكسون والاتجاه النفسى الاجتماعـى	١٠٨
(٤) خصائص وسمات مرحلة المراهقة	١١١
(٥) مظاهر النمو فى مرحلة المراهقة	١١٥
(٦) مطالب وحاجات المراهقين	١١٨

الموضوع	الصفحة

تقديم أ.د. محمد عبدالمنعم البرى

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى،،،

وبعد ..

فمن الآداب الشريفة والوصايا الخالدة فى تربية النشء «داعب ابنك سبعًا وأدبه سبعًا وآخه سبعًا ثم اترك له الحَبْل على الغارب»، واستشعار الوالدين بأمانة القدوة الصالحة للأبناء وتقوى الله عز وجل من خلال ذلك يحقق البشارة القرآنية فى أوصاف عباد الرحمن ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان:٧٤] وقد سعدت بإلقاء نظرات سريعة على بحث الأستاذة الدكتورة زينب سالم، ولمحت من خلالها التوجيهات السديدة والفكر الرشيد فى ميدان التربية والرعاية للنشء مما يستوجب الدعاء بدوام التوفيق، إن ربى سميع مجيب .

أ.د/ محمد عبد المنعم البرى

عميد مركز الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر

ورئيس جبهة علماء الأزهر الشريف سابقًا

تقديم د. عصام الهلالى

من الواضح لأى راصد لمشكلات المراهق المصرى أن هناك العديد من الضغوط تحاصره وتنحر فى قواه ومستقبله وتنحر كذلك فى بنية المجتمع وصلبه قد يكون الإدمان أحد أهم هذه المشكلات، ذلك الوافد الجديد الذى يبدو أنه قد استوطن للأسف فى هذا الوطن كأنه كان يبحث عنه !! .. وقد تكون فرص التعليم والعمل بما تعنيه من أمان فى المستقبل وحماية من فقر الأيام .. قد تكون هذه كذلك أحد أهم المشكلات الضاغطة على المراهق والشاب المصرى.

لكن دون شك فإن مشكلة الهوية هى أم المشكلات خاصة وسط هذا الزخم الإعلامى والفوضى القيمية، فعندما تسود اللامعيارية وتفقد الأشياء معناها المتعارف عليه ويصبح اللامعقول هو النمط وأنصاف العارفين هم الملجأ .. هنا فإن المقدمات تدفعنا دفعًا إلى نتائج مؤلمة يمكن أن نختزلها فى البحث عن الذات والهوية والحقيقة .. ولكنه غالبًا ما يكون بحثًا عاجزاً ضعيفًا ، إفراز مجتمع يئن تحت ضربات الاختراق الثقافى التى تصر أن تحوله إلى مسخ خرافى يرقص فى خلاعة ويغنى بلا معنى .. ويعانى من فراغ الضمير والنفس والوقت بما يحمله من ملهاة البحث عن الذات فى الابتذال.

هذا المسخ الخرافى هو نفسه الذى يتشح بالسواد ويغوص ويغوص فى ملهاة التشدد والتعصب الدينى لعله يجد ذاته المفقودة ... إن كلا الطرفين مؤلم وفاشل، الأول منسحب مغيب والذى يفرض الانسحاب على المجتمع ويقف وحيداً.

عندما نراجع الإحصاءات الخاصة بعدد الشباب والمراهقين المتطرفين دينيًا والـمُعَرَّضين كذلك للتطرف سوف نشعر بالألم .. عندما نراجع توزيع هؤلاء الشباب الجغرافى والعمرى سوف نشعر بالخوف .. ولكننا عندما نراجع أدوارنا ومسئوليتنا واستراتيچيات مواجهة هذا الفكر المشوش، وأساليب تأمين أولادنا قبل محاسبتهم سوف نشعر بالتقصير!

إن مثل هذه المداخل هى - غالبًا - ما دفعت الباحثة المؤلفة الدكتورة زينب سالم أن توظف خبراتها فى التعامل مع المراهق المصرى على مدار سنوات طويلة ومعايشتها له ولمشاكله وآلامه وطموحاته وأحلامه .. لقد وظفت هذه الخبرة الميدانية فى بنية علمية رصينة لخدمة قضية محورية وهى التطرف الدينى وميزت بينه وبين التعصب ، ثم عرضت متى يصبح التطرف إرهابًا وما هى أنواع التطرف ودوافعه ومحدداته والنظريات المفسرة له وموقف الدين الإسلامى منه. ثم تناولت فى الفصل الثانى بدراسة مستفيضة ماهية المراهق والنظريات المفسرة لمرحلة المراهقة وخصائص وسمات المراهقة، ثم ناقشت مطالب وحاجات المراهق وميولهم ومشكلاتهم فى أطرها النفسية والاجتماعية المختلفة، مستعرضة الجماعات الأولية والثانوية والمرجعية المؤثرة عليه، وأخيراً تستعرض الأدوار الإيجابية لحمايته من التطرف الدينى ودعم السلوك الإيجابى السوى.

من هنا اكتسب هذا الكتاب أهميته العلمية والمجتمعية .. ليس لكونه رصداً لمشكلات التطرف الدينى لدى المراهق فقط، أو لأنه تشريح للبنية السيكولوچية له .. وإنما القيمة الحقيقية لهذا المؤلف تنبع من أنه يضعنا أمام الحقيقة كما هى وينبهنا إلى مسئولياتنا التى قد تكون غابت عنا كأولياء أمور أو مربين أو مثقفين، ثم يأخذ بيدنا فى هدوء عميق إلى أنماط الفعل التربوى التى يجب أن نتبناها فى التعامل مع هذه الشريحة.. وأشكال الفعل السالب التى يجب أن نكون على وعى كامل بأنها سوف تفرز شخصية دوجماتية متطرفة.

إن هذا الكتاب ليس فى سوسيولوچية التطرف الدينى أو فى سيكولوچية المراهق المتطرف .. ولكنه فى المقام الأول دليل تربوى للكبار لعلنا نقف يومًا أمام ضمائرنا ونقول لقد حاولنا وتعلمنا كيف نعمل وكيف نربى وكيف نواجه ولقد نجحنا .. بدلاً من أن نلقى اللوم على الآخرين ونتنصل من مسئولياتنا ونختبئ وراء نظرية المؤامرة.

د. عصام الهلالى
مستشار وزير الشباب والرياضة سابقًا

« تمهيد »

لقد فرض واقع المجتمع المعاصر على الإنسان تغييرات حادة وسريعة وعديدة، قد تتجاوز إمكاناته على الاستجابة لهذه المتغيرات المتلاحقة وعلى التكيف معها واستيعابها، وإزاء هذا التغيير الصادم قد يعانى الإنسان حالة من اختلال التوازن الذى يعبر عنه «إلڤين توفلر» بصدمة المستقبل، وذلك لأن جوهر الصدمة هو أن تغييرات حادة ومفاجئة ومتلاحقة قد أحاطت بالإنسان فعجزت أجهزة التكيف والتلاؤم فى بنائه العضوى أو النفسى عن ملاحقتها والاستجابة لها.

فالعالم اليوم يمر بتغيرات سريعة أصبحت سمة العصر وانتقلت آثار هذا التغير من الحياة التكنولوچية إلى الحياة الاجتماعية « Social Life » فتأثرت القيم والعادات والتقاليد والمعايير، واضطر الإنسان إلى التعامل مع التنافس والتصارع والقلق والتوتر والخوف فاستجد بذلك عدداً من المصطلحات التى تسهم فى وصف ما يمر به من توتر واضطرابات.

ورغم أن عصرنا الحاضر وهو عصر الثورة العلمية والتكنولوچية قد توفرت فيه منجزات عظيمة إلا أنها تحمل فى طياتها أيضًا الكثير من الآلام والمتاعب النفسية والكثير من مقومات التدمير والتخريب، وبالتالى الكثير من الشقاء الإنسانى، وليست الأوضاع الراهنة للشباب وما تنطوى عليه من مظاهر غير سوية إلا انعكاسًا للأوضاع والظروف والمتناقضات الموجودة فى هذا العصر.

ولعل الصورة القاتمة تعبر عن الكثير من واقع الشباب فى هذا العصر فى مجتمعات متعددة، ولعل أبرز مظاهر التعبير عن اغتراب الإنسان ما تفصح عنه الإحصاءات والدراسات الاجتماعية عن زيادة ملحوظة خطيرة فى انتشار الأمراض النفسية والعقلية وحالات الانتحار المتكررة وإدمان المخدرات، وأخيراً ثورات الرفض والتمرد والاحتجاج التى يقوم بها الشباب فى بلدان كثيرة من العالم.

وظاهرة التطرف الديني، من الظواهر التي احتلت الصدارة في كثير من الأعمال السوسيولوچية والسيكولوچية، التي سعت لوصف اضطرابات الإنسان المعاصر، والتي فرضت نفسها على الساحة العالمية وامتدت براثنها إلى داخل مجتمعاتنا العربية، ويؤكد الباحثون على أن ظاهرة التطرف الديني ليست وليدة عصر التكنولوچيا - بل هي قديمة قدم الإنسان- ولكنها سادت لتخرج من نطاق الحالات الفردية لتصبح إحدى الظواهر الاجتماعية المميزة للعصر الحالي مع اختلاف المجتمعات، فكلما تعقدت الحياة افتقد الإنسان - وبصفة خاصة المراهقون والشباب - الانتماء إلى الواقع وما يحويه من أفراد وتراث وعقائد وقيم وقانون وروحانيات، وأدى ذلك إلى تقلص الذات التي تصبح عاجزة عن تحقيق نفسها فتنشأ مظاهر سوء توافقها وعدم تكيفها.

والتطرف ظاهرة اجتماعية لا يكاد يخلو منها مجتمع من المجتمعات سواء أكان هذا المجتمع ينتمي إلى العالم المتحضر أم إلى العالم المتخلف، ولذا فإن الحكم على التطرف بأنه ظاهرة مرضية أو مشكلة يعيشها المجتمع وينبغي التخلص منها، ليس بالأمر العلمي الموضوعي، فهو ظاهرة لها مسبباتها ولها عواملها التي أدت إلى ظهورها، ولها مقوماتها التي أدت إلى استمرار بقائها ومن ثم فإن التطرف في مجتمع من المجتمعات ينبغي النظر إليه أولاً على أنه نتيجة وليس سببًا.

ولا يعتبر التطرف ظاهرة اجتماعية إذا ما اقتصر أمره على فرد أو على أفراد محددين، فالتطرف ليس له أهمية كبيرة من وجهة نظر المجتمع إذا كان لا يتعدى السلوك الفردي ولا يؤيده تطرف جماعي، ولكنه يصبح ظاهرة تشغل بال المجتمع إذا اتجهت إلى التطرف الديني أو السياسي جماعات عديدة لا سيما إذا اتجه بعضها إلى العنف لإحداث التغيير الاجتماعي «Social Change» أو التغيير السياسي وتزداد أهمية وضعه في الاعتبار، إذا نما إلى الحد الذي يضع صاحبه في موقف بطولي أمام فئة كبيرة من المجتمع، ويجعله يمثل قوة اجتماعية قادرة على التأثير على الآخرين وتوجيههم، حيث يبلغ التطرف هنا مرحلة يهدد فيها أمن المجتمع.

ومن هذا الإطار نؤكد على أن التطرف الدينى إذا لم يتجاوز حدود التفكير والشعور واقتصر على العبادة وإقامة شعائر الدين والتشديد على النفس، فهو أمر مقبول ومرضى عنه ولكن عندما يتحول إلى سلوك جماعى منظم ينطوى على تحدى السلطة القائمة فى المجتمع، ومحاولة فرض الرأى ولو عن طريق استخدام العنف فإنه يدخل فى نطاق التطرف الدينى السياسى ويصبح ظاهرة تشغل بال المجتمع وتهدد أمنه.

والتطرف الدينى - كما سبق وأن أشرنا - ظاهرة عالمية منتشرة فى أرجاء دول العالم المعاصر، لكن هذا الانتشار لا يرجع بالطبع إلى أن التطرف الدينى جزء من الطبيعة الإنسانية أو أنه ظاهرة إنسانية مجردة، وإنما ينبغى دراسة ظاهرة التطرف الدينى فى ضوء العوامل الموضوعية التى توجد فى النظام الاجتماعى الاقتصادى السياسى المعين فتلك الظاهرة هى شكل من أشكال السلوك الإنسانى، فلا بد وأن يكون وراءها دوافع وعوامل «دينية - نفسية - اجتماعية - اقتصادية - سياسية - تربوية - إعلامية - أمنية - دولية، ... إلخ»، وذلك انطلاقًا من مسلمة من مسلمات علم النفس تقول: وراء كل سلوك دافع.

ومن ثم، جاءت فكرة هذا الكتاب فى هذا الوقت الراهن بالذات المليء بالمتغيرات على كافة الأصعدة، هذا الكتاب الذى نحاول من خلاله تناول ظاهرة التطرف الدينى بالبحث والدراسة فى ضوء خطوات المنهج العلمى بهدف الوقوف على الأسباب والدوافع الكامنة وراءها، وذلك بغرض الإعداد الجيد لكيفية مواجهتها والقضاء عليها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أننى سوف أتناول تلك الظاهرة «التطرف الدينى»، من خلال إحدى شرائح المجتمع المصرى المهمة وهى شريحة المراهقين والمراهقات فى المرحلة العمرية من (١٤-١٧) سنة، وذلك لعدة أسباب تتمثل فى الآتى:

١ - تتميز مرحلة المراهقة بثورة المراهق وتمرده على سلطة الأسرة والمدرسة وقيودهما واحتدام الصراع بينهما ويرجع حدوث هذا الصراع إلى رغبة

المراهق فى الاستقلال عن الأسرة، وميله إلى الاعتماد على النفس، نتيجة للتغيرات الجسيمة التى تطرأ على المراهق، ويشعر بأنه لم يعد طفلاً قاصراً كما أنه لا يحب أن يحاسب على كل صغيرة وكبيرة أو أن يخضع سلوكه لرقابة الأسرة ووصايتها فهو لا يحب أن يعامل كطفل، ولكن تود الأسرة أن تمارس رقابتها وإشرافها عليه بهدف توفير الحماية ولكنه لا يقر سياسة الأوامر والنواهى.

٢ - يعيد المراهق حساباته من جديد فى كل شىء ويناقش ويزن بعقله شاعراً بأن المحيطين به لا يقدرون موقفه ولا يحسون بإحساسه ولا يجارونه فى آماله فيضطر إلى الثورة والتمرد والعناد ، وانفعالات المراهق فى النهاية تتميز بالسطحية وعدم النضج إذ تسهل استثارته، يساعده فى ذلك أنه أحيانًا ما يعتنق مذهبًا ما يجعله شديد التمرد أو يحيا فى تناقضات بين محاولة المشاركة الاجتماعية والانعزال، بل وقد يعتنق أحيانًا فكرتين متعارضتين معًا فينعكس هذا بدوره إلى نمو اجتماعى غير سليم.

٣ - المظهر الانفعالى الدينى فى مرحلة المراهقة يبدو واضحًا إذ تنتاب المراهق ثورة من الشك والصراع الدينى، فهو يميل بعقله النامى لمناقشة وتحليل وفهم الأمور والقيم الدينية فهمًا منطقيًا.

٤ - أن المظهر الانفعالى الدينى يكمن فيما يحيط بالإيمان من مشاعر وعواطف فالفرد يؤمن فى طفولته بالشعائر والطقوس الدينية المختلفة لكن فى مراهقته يتخفف كثيراً من هذا الإيمان ويتجه بعقله نحو مناقشتها وفهمها ، ولهذا قد ينحدر به الشك إلى الصراع، فالشعور الدينى فى المراهقة يعد أقوى العوامل التى تعمل على تغيير مثيرات واستجابات المراهق الانفعالية.

٥ - يتعرض بعض المراهقين لحالات من اليأس والقنوط والحزن والآلام النفسية نتيجة لما يلاقونه من إحباط، وللدين دور مهم من الناحية النفسية فهو ملاذ عظيم ومنفذ لكثير من المشكلات الانفعالية والصدمات النفسية،

والدين بما يحمل من أفكار وقيم يعالج الكثير من المشكلات التى يقع فيها الفرد ويعمل الدين على تخفيف القلق النفسى وله صلة كبيرة بالنمو العام وبالناحية الجنسية عند المراهقين وهناك ارتباط وثيق بين الناحية الدينية والناحية الجنسية، فتتخذ الناحية الدينية وسيلة لإعلاء النزعات الغريزية الجنسية، لأن المراهقين لديهم طاقات قوية نشأت من النمو الجسمى والنفسى وهنا يبرز دور الدين وأهميته فى إعلاء هذه النزعات وحسن توجيه هذه الطاقات.

٦ - أهم وأخطر صراع يتعرض له المراهق هو «الصراع الدينى» فهو يرغب فى تفهم الأمور الدينية وما يوافق أوامر الشرع ويشعر أن رغباته لا يوافق عليها الشرع، فالشعور الدينى لدى المراهق متذبذب، فهو تارة يزيد من التدين وتارة أخرى يبعد عنه ولعل ذلك يرجع إلى تلك الصورة من الصراع بين رغباته وما يوافق عليه الشرع.

٧ - تمتاز مرحلة المراهقة بأنها سن العقيدة، وسن الحاجة إلى صون هذه العقيدة وتوكيدها وإن عصف بها الشك أحيانًا، وتدل أبحاث كول «Cole» على أن السنة السادسة عشرة من حياة المراهق تعد مرحلة تحول فى سلوكه الدينى حيث يقرب الفرد اقترابًا واضحًا من معايير دينية حتى يرشد وتثبت أغلب مظاهر تدينه ثبوتًا يستطرد معه بعد ذلك طول حياته.

٨- تتصف مرحلة المراهقة بالشكوك التى تعترى المراهق بخصوص القضايا الدينية، فالمفاهيم والمدركات والمعتقدات والعبادات التى كان يمارسها الطفل من قبل تخضع فى هذه الفترة لتقويم دقيق ومحاولة لإدراك مفهومها ومعناها وذلك تبعًا لنوع التفكير المنطقى والمعانى المجردة الجديدة التى تسيطر على تفكير المراهق فى هذه الفترة، وقد يتراوح الشك لديه بين النقد العابر والارتياب الحاد فى كل العقائد .

وقد قسم علماء النفس المصريون المراهقين إلى أربع فئات وهى :

الفئة الأولى ملتزمة بقواعد الدين:

ولا يناقشون أموره وهم أصحاب الإيمان التقليدى وهم يرضون بما اكتسبوه من قيم دينية، وهؤلاء من النوع المتطابق مع قيم المجتمع واتجاهاته بشكل عام ويمرون بمراهقة هادئة متوافقة .

الفئة الثانية وهم أصحاب الحماس الدينى:

الذين يناقشون الدين بإيجابية ويتمنون سيادة التعاليم الدينية فى المجتمع، حتى ينصلح حاله ومنهم ذو حماس إيجابى لا يتعصب صاحبه ولا ينطوى، بل يكون منبسطًا ناضجًا يواجه المجتمع بأساليب إيجابية، ومنهم ذو حماس سلبى وصاحبه بحكم تكوينه النفسى يفشل فى الخروج إلى المجتمع ليعبر عن حماسه الدينى، فينصرف عن الدنيا ويتفادى العلاقات الاجتماعية، وهذا يكون عند الشخصية الانطوائية وهى شخصية لا سوية تعجز عن مواجهة الواقع فتنكره.

الفئة الثالثة وهم أصحاب الشك فى الدين:

واتجاهها نقدى فهم يناقشون الدين مناقشة جدية ولا يقرون قواعده إقراراً تامًا، وفى نفس الوقت لا ينكرونه إنكاراً تامًا فهم يقرون الدين بعين التشكك.

الفئة الرابعة وهم الملحدون:

المنكرون لله عز وجل، إنكاراً صريحًا ومبعث هذا الإلحاد الرغبة العنيفة فى التحرر والاستقلال مع توجيه العدوان الداخلى إلى المجتمع بمهاجمة مقدساته ومصدر هذا الإلحاد عوامل منها: قسوة الأسرة على الطفل وشعوره بالمذلة والمهانة، وانعدام المثل العليا وتفسخ المبادئ لدى الكبار، واستبداد وسيطرة القيم العلمية البحتة والاتجاهات الفلسفية.

وإننى آمل أن يساهم هذا الكتاب فى اقتراح توصيات قد تساهم من الناحية النظرية فى إجراء أبحاث ودراسات ومؤلفات أخرى، ومن الناحية التطبيقية فى إعداد برامج أو وضع سياسات وقائية تجنب النشء الصاعد من المراهقين والمراهقات الوقوع فى دائرة التطرف الدينى.

وأخيراً، أدعو الخالق القدير «الله عز وجل» أن يوفقنى إلى تحقيق أهدافى من هذا الكتاب، وهو نعم الموفق ونعم النصير.

الدكتورة/ زينب سالم

الفصـــل الأول

التطرف الدينى

مقدمـــة

ظاهرة التطرف الدينى ظاهرة عالمية تشمل العالم بأجمعه ولا تقتصر على قطر دون آخر، وهى ظاهرة قديمة قدم الإنسانية، كما سبق وأن ذكرنا فى المدخل التمهيدى، فما ظهر دين أو مذهب أو نظام وإلا كان من بين أعضائه أو أنصاره معتدلون ومتطرفون، وتقع الخطورة فى التطرف فى القاعدة الفكرية والاقتصادية التى ينطلق منها، كذلك درجة اتساعها ومدى التعاطف والتشجيع الذى يلقاه هؤلاء المتطرفون فى بداية نشاطهم، باعتبارهم مظهراً من مظاهر الانبعاث الدينى أو الصحوة الدينية.

ويصعب فى كثير من الأحيان رؤية مداخل التطرف ومظاهر العلاج والانحراف فى منهج وأفكار وأسلوب بعضهم من الدعوة وأسلوب العمل، فهذه الظاهرة لها أبعادها الاجتماعية والسياسية والدينية والنفسية، فهى إذاً ظاهرة مركبة ومن ثم لا ينبغى أن يكون تشخيصها وعلاجها منحصراً فى إطار منظور واحد فقط مهما بدت له من أهمية واعتبار.

كما نؤكد على أن هؤلاء المتشددين موجودون فى كل فكر ومذهب وملة، وبحكم الطبيعة البشرية السوية الأكثر ميلاً إلى اليسر والاعتدال فإنهم يمثلون أقلية واستثناء من القاعدة، وإن ارتبط حجمها بطبيعة المناخ العام، الذى قد يوفر عناصر الاعتدال كما أنه قد يدفع الناس والشباب فى المقدمة إلى التشدد والتطرف.

ومن ناحية أخرى، نشير إلى أنه فى كل بلاد الدنيا يوجد متطرفون - دينيون وغير دينيين - لكن أسلوب التعامل مع التطرف يختلف من بلد إلى آخر؛ هناك بلدان يفزعها التطرف ويهز كيانها وهناك بلدان أخرى تستوعبه وتعالجه بثقة واطمئنان، وهناك بلدان ثالثة تستخدمه وتوظفه ليصب فى مجرى المصلحة العامة فى نهاية المطاف.

فى هذا الإطار، نؤكد على أننا نقرأ فى الصحف كل يوم الكثير عن ممارسات المتطرفين فى أوروبا الغربية وأمريكا واليابان، ولا نجد أثراً لدعوات الداعين إلى تجهيز المحارق وتعليق المشانق، وفى إسرائيل أحزاب متطرفة لها كتلة فى الحكومة والبرلمان، وهؤلاء الغلاة المتشددون المتطرفون جميعًا يؤدون دوراً فى خدمة مخططات البلاد.

وتأكيداً على أن التطرف الدينى ظاهرة عالمية يقول «أحمد كمال أبو المجد» أنه حاور عشرات من الشباب الذين يقفون عند الخط الفاصل بين التدين والتعصب فى الجامعات المصرية وفى عواصم أوروبية وجامعات أمريكية وعربية، فوجد أن ثمة منابع مشتركة يستمدون منها فكرهم، وأن هناك تشابهًا فى المراحل التى يختارها بعضهم فى انتقاله من الدعوة الهادئة إلى الحماس المشتعل ثم إلى الغضب المدمر، مما يكشف فى النهاية عن عالمية ظاهرة التطرف.

ومن ناحية أخرى، يرى البعض أن التطرف ظاهرة مرضية على المستويات النفسية الثلاثة: المستوى العقلى أو المعرفى، المستوى العاطفى أو الوجدانى، والمستوى السلوكى.

فعلى المستوى العقلى، يتسم هذا المرض بانعدام القدرة على التأمل والتفكير وإعمال العقل بطريقة مبدعة وبناءه، وعلى المستوى الوجدانى أو العاطفى، يتسم المتطرف بالاندفاعية الوجدانية وبشدة الانفعال والتطرف فيه، فالكراهية مطلقة للمخالف فى الرأى أو للمعارض أو حتى للإنسان بصفة عامة، بما فى ذلك الذات وهى كراهية مدمرة، والغضب ينفجر بلا مقدمات ليدمر كل ما حوله أو أمامه، وعلى المستوى السلوكى، نجد أيضًا الاندفاعية من دون تعقل ويميل السلوك دائمًا إلى العنف، ولو أن هذه الحالات معدودة ومحدودة لكنا بصدد ظاهرات فردية يمكن أن يتناولها بالعلاج الأخصائيون أو الأطباء النفسيون، ولكان تهديدها للمجتمع محدوداً، لكننا على العكس من ذلك إزاء ظاهرة عامة.

في ضوء الرأى السابق، أرى أن السياسيين متطرفون حين نجدهم يسلمون بفكر وباتجاه لا يقبل النقاش، ويرفضون رفضًا قاطعًا الرأى الآخر ويكرهون من يحمل هذا الرأى، والمعلمين متطرفون حين يفرضون على تلاميذهم الرأى والفكر والمعرفة ولا يقبلون منهم نقاشًا أو حواراً أو رأيًا، والإعلاميين متطرفون حين يفرضون آراءهم وقيمهم وفلسفتهم على الجماهير، والموظفين الحكوميين متطرفون حين يتمسكون تمسكًا جامداً أعمى بتفسيراتهم لنصوص القوانين، وفى الأسرة يسود التطرف حين يفرض الآباء قراراتهم على الأبناء، ... إلخ.

والتطرف كظاهرة اجتماعية يختلف عن الجريمة أو الجناح، فالجريمة بالمعنى السوسيولوچى هى خروج على القواعد الاجتماعية أو القانونية بسلوك متناقض لما تقتضى به هذه القواعد، أما التطرف فهو حركة تبدأ فى حدود القواعد الاجتماعية والقانونية ثم يبالغ فى حركته حتى يتجاوز مداه الحدود التى يرتضيها المجتمع.

فالسلوك المتطرف والسلوك المنحرف يتفقان فى اعتبارهما سلوكًا يخرج عن نطاق القيم والمعايير السائدة فى المجتمع الواحد، ومن ناحية أخرى وبالرغم من أن التطرف والانحراف يتفقان فى اعتبارهما خروجًا عن القيم والمعايير الاجتماعية إلا أنه يوجد فرق أساسى بينهما يتمثل فى أن الانحراف يؤدى دائمًا إلى نتائج سلبية معوقة وظيفيًا للمجتمع، بينما تكون نتائج التطرف سلبية وقد تكون أحيانًا إيجابية.

وعن لجوء الجماعات المتطرفة إلى الدين أرى أن هذه الجماعات الهامشية تعيش خبرات انفعالية شديدة تخلق بداخلها مشاعر القلق والتوتر وعدم الإشباع الانفعالى، وأنها بلجوئها إلى الدين تستطيع تحقيق قدر من الإشباع الانفعالى والتخلص من القلق والتوتر.

ونؤكد على ما سبق، بالإشارة إلى أن قيام أى حركة دينية أو ثورية تعطى للأفراد المهمشين الأمل وتثير لديهم روح التضامن مع الجماعات الأخرى مما يؤدى إلى انهيار الجوهر السيكولوچى والسوسيولوچى لثقافة الفقر.

وفى هذا الإطار، يؤكد الباحثون أيضًا على أن الجماعات الدينية السياسية التى تتجه اتجاهًا متطرفًا لا تعنى على الإطلاق أنها تمتلك جرعة إيمانية أزيد من الآخرين، وانطلاقًا من ذلك فالتطرف الدينى ليس جرعة زائدة من التدين، بل هو موقف سياسى محدد يأخذ من الدين ساتراً له، فالدين ليس له دخل فى التطرف أيًا كان نوعه - دينى، سياسى، اجتماعى ... إلخ - ولذا يرى البعض أنه لا ينبغى أن نقول: تطرفًا دينيًا؛ لأن الدين حامل لكل معانى الخير للناس، بعيداً كل البعد عن التعصب والتشدد والمغالاة والتطرف الدينى.

ومن خلال هذا الفصل، سوف نتناول بالعرض والتحليل عدة أبعاد على النحو التالى:

١ - التطرف الدينى وبعض المفاهيم المرتبطة به.

٢ - أنواع التطرف.

٣ - مظاهر التطرف الدينى.

٤ - المحددات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للتطرف الدينى.

٥ - دوافع التطرف الدينى.

٦ - النظريات المفسرة للتطرف الدينى.

٧ - موقف الدين الإسلامى من التطرف الدينى.

(١) التطرف الديني وبعض المفاهيم المرتبطة به

أ - تعريف التطرف الديني

التطرف بوصفه مفهومًا لم يتم تحديده بصورة قاطعة بعد، فجميع الدراسات التى تصدت لدراسة التطرف وعلاقته بمتغيرات الشخصية المختلفة كانت تبحث عن مضمون تلك العلاقة دون النظر إلى تحديد المفاهيم القائمة عليها، لذا لا يوجد تعريف محدد يمكن الرجوع إليه والاستناد عليه لتعريف التطرف .

ومن ناحية أخرى، نؤكد على اختلاف منطلقات الباحثين الذين تناولوا دراسة التطرف، وكيف اختلفت المعانى التى خلعوها على الاستجابات المتطرفة وأنهم تغاضوا عن وضع تعريف محدد للتطرف، واكتفوا بدراسة الاستجابات المتطرفة ليس فى حد ذاتها ولكن فى علاقتها بمضامين نفسية أخرى كالتصلب والتوتر والنفور من الغموض وغيرها.

انطلاقًا مما سبق نشير إلى أن مفهوم التطرف من المفاهيم التى يصعب تحديدها أو إطلاق تعميمات بشأنها، وترتبط هذه الصعوبة بالمعنى اللفظى والذى يشير إلى أنه تجاوز حد الاعتدال، وهو معنى نسبى يختلف من زمن لآخر ومن مجتمع لآخر، وفقًا لنسق القيم السائدة فيه فما يعتبر تطرفًا فى زمن ما قد يكون مقبولاً فى زمن آخر، وما ينظر إليه على أنه تطرف فى مجتمع ما قد يكون مألوفًا فى مجتمع آخر.

والاعتدال يتغير مدلوله بتغير البيئات والحضارات والثقافات والديانات، وترتبط هذه الصعوبة أيضًا فى تحديد مفهوم التطرف بأن حركته فى بدايتها تكون فى حدود القواعد المقبولة اجتماعيًا، ثم تتجه إيجابًا وسلبًا إلى حركة غير محسوسة يصعب معها تحديد النقطة التى يتجاوز عندها حد الاعتدال ويبلغ حد التطرف.

وفيما يلى عرض لأهم التعريفات التى تناولت مفهوم التطرف بصفة عامة، ومفهوم التطرف الدينى بصفة خاصة.

(١) التعريفات اللغوية (التطرف فى اللغة)

جاء فى لسان العرب لفظ «تطرف» بمعنى الناحية من النواحي، حيث إن طرف كل شيء منتهاه، واستشهد «ابن منظور» بالآية الكريمة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١].

وجاء فى المعجم الوسيط: لفظ تطرف بمعنى تجاوز حد الاعتدال ولم يتوسط، فالطرف من كل شيء منتهاه واستشهد على هذا المعنى بالآية الكريمة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤].

وإنما جاء لفظ تطرف فى المعجم العربى الأساسى: بمعنى جاوز حد الاعتدال فالتطرف بهذا المعنى فى اللغة العربية هو الغلو والتشدد وتجاوز حد الاعتدال.

وفى قاموس «اكسفورد» جاء تحت «Extremity» العديد من المعانى نذكر منها:

* التطرف هو: النهاية القصوى فى أى خط أو سلسلة متدرجة.
* التطرف هو: شدة المغالاة أو العنف فى الانفعال أو السلوك.
* التطرف هو: الغلو فى الاعتقاد والسلوك.

أما قاموس «Standard Dictionary» فقد جاء تحت التطرف «Extremity» العديد من المعانى التى تتفق مع ما جاء به قاموس اكسفورد من تعريفات. ومن هذه التعريفات، أن التطرف هو راديكالية الاعتقاد.

(٢) التعريفات الإحصائية

تمثلت فى تعريف ولش وكوجن Wallach and Kogen حيث أشارا إلى أن الأحكام تعتبر أكثر تطرفًا باتجاهها فى انحرافها نحو قطب المتصل أى فوق أو تحت النقطة المركزية فى مقياس شبيه بمقياس الاتجاهات .

وأيضًا أشار «يوسف عز الدين» إلى أن نقطة التطرف هى التى تتجه فى انحرافها من منطلق النزعة المركزية نحو قطب المتصل أى تتجه فى انحرافها إما فوق أو تحت نقطة الوسط.

(٣) التعريفات الدينية

يعرف «محمد سعيد العشماوى» التطرف بأنه مجاوزة حد الاعتدال باللغو والتشدد فى أى شىء أو أى فكرة أو رأى أو اعتقاد، وهو من ثم كما يكون فى الأمور العادية والشئون الجارية يكون فى التدين، خاصة إذا سقط التدين من محيط العقل ليدور فى فلك العاطفة أو إذا نقصه العلم أو شابه الجهل أو إذا اختلط بالتخريب أو اقترب من السياسة أو اقترن بها، أو إذا حركته الأوهام أو إذا ساقته المطامع، أو إذا تخلله ما إلى ذلك من أمور تخرج التدين عن نطاقه الطبيعى ومجاله الفطرى لتقذف به فى ظلمات التطرف.

أيضًا عرف «محمد الدسوقى» التطرف الدينى بأنه «اتخاذ الفرد موقفًا متشدداً يتسم بالقطعية فى استجاباته للموضوعات وفيما يقوم به من ممارسات ذات طابع دينى.

كما عرفت «إيمان عبده حافظ» التطرف الدينى بأنه الغلو والتشدد فى فهم أمور الدين، دون أساس علمى أو دينى أو عقلى.

كذلك عرف «محمد بيومى» المتطرف دينيًا بأنه فرد يبدأ متدينًا عاديًا ثم يتجه نحو التشدد مع نفسه أولاً ومع الناس، ثم يتجاوز ذلك إلى إصدار أحكام قاطعة بالإدانة على من لا يتابعه فى مسيرته ثم اتخاذ موقف ثابت ودائم من المجتمع ومؤسساته وحكومته، يبدأ هذا الموقف عادة بالعزلة والمقاطعة المبنى على إصدار حكم فردى على هذا المجتمع بالردة، ثم يتحول هذا الموقف الانعزالى عند البعض إلى موقف إيجابى عدوانى، يرى معه المتطرف أن هدم المجتمع ومؤسساته هو نوع من التقرب إلى الله وجهاد فى سبيله، لأن هذا المجتمع - فى نظر المتطرف - هو مجتمع جاهل منحرف لا يحكم بما أنزل الله.

بينما استخدم «محمد أحمد» تعبير «التطرف الفكرى» للإشارة إلى التطرف عن التدين، كما استخدم تعبير «الغلو والتشدد فى الدين»، وإن كان قد ميز بين ظاهرة نمو المشاعر الدينية باعتبارها ظاهرة صحية لا يمكن التصدى لها وبين التطرف الفكرى، كما فرق بين التطرف الفكرى، والتطرف فى السلوك على أساس أن الأول يدفع صاحبه إلى التشدد فى فهم أحكام الشريعة والتمسك بظواهر النصوص، أما التعبير الثانى فيعنى محاولة فرض الرأى بالقوة مؤكداً خطأ هذه الممارسات.

كما يعرف «أحمد الجندى» التطرف بأنه مجاوزة حد الاعتدال، وقد استخدم مصطلح التطرف فى الأدبيات السياسية والاجتماعية فى المجتمعات الغربية أولاً ثم شاع استخدامه فى العالم العربى وخاصة فى الآونة الأخيرة.

ومن ناحية أخرى يعرف «محمود حمدى زقزوق» التطرف بأنه تجاوز الحد المعقول، والبعد عن حد الاعتدال، وحد الاعتدال هو الوسطية.

(٤) التعريفات الاجتماعية

يعرف «سعد الدين إبراهيم» التطرف بأنه الخروج عن الوسط، أو البعد عن الاعتدال أو اتباع طرق فى التفكير والشعور غير معتادة لمعظم الناس فى المجتمع، والإيمان العميق بصحة هذه الطرق وصلاحها والاستعداد للتضحية فى سبيلها.

بينما يعرف «سمير نعيم» التطرف بأنه ليس كما يشاع خروجًا عن المألوف أو عما تعارف عليه الناس فى المجتمع فى فترة زمنية ما، ذلك أن كل التطور الحضارى العالمى فى جميع المجالات الاجتماعية والعلمية والثقافية والسياسية قد مثل خروجًا عن المألوف وعما اعتاد عليه الناس، بل إن الأديان السماوية بذاتها كانت خروجًا عما ألفه الناس، والأهم من هذا كله أن النظر إلى التطرف بهذه الكيفية هو نفسه وقوع فى نهج المتطرفين، وهم بدورهم من وجهة نظرهم يعتبرون كل فكر وسلوك رشيد أو علمانى خروجًا عن المألوف الذى كان سائداً كما يدعون فى فترة من فترات التاريخ الإنسانى، وعلى هذا فتعريف

التطرف كما يرى «سمير نعيم» بأنه الخروج عن المألوف إنما هو تجميد للمجتمع الإنسانى بأسره بل هو التطرف بعينه، وفى ضوء ذلك يرى «سمير نعيم» أن التطرف وفقًا للتعريفات العلمية بدوائر المعارف العالمية والعلوم الاجتماعية مرادف للكلمة الإنجليزية «Dogmatism» أى الجمود العقائدى والانغلاق العقلى وهذا فى الواقع هو جوهر الفكر الذى تتمحور حوله كل الجماعات المسماة المتطرفة.

كما عرف «سيد عويس» التطرف بأنه التعصب فى الرأى وتجاوز حد الاعتدال فيه وما يترتب على هذا التعصب من ألوان من السلوك الإنسانى العنيف أحيانًا واللاإنسانى أحيانًا أخرى.

أيضًا عرف «على ليلة» التطرف بأنه حالة من التعصب للرأى تعصبًا لا يعترف معه بوجود الآخرين، وجمود الشخص على فهمه جموداً لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولمقاصد الشرع، ولظروف العصر، ولا يفتح نافذة للحوار مع الآخرين وموازنة ما عنده بما عندهم والأخذ بما يراه بعد ذلك أنصع برهانًا وأرجح ميزانًا.

كذلك يشير بعض الباحثين إلى التطرف بأنه أسلوب مغلق للتفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أية معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة أو التسامح معها ويتسم هذا الأسلوب بنظرة إلى المعتقد تقوم على ما يلى:

١ - أن المعتقد صادق صدقًا مطلقًا وأبديًا.

٢ - يصلح لكل زمان ومكان.

٣ - لا مجال لمناقشته ولا للبحث عن أدلة تؤكده أو تنفيه.

٤ - إدانة كل اختلاف عن المعتقد.

٥ - فرض المعتقد على الآخرين بالقوة.

٦ - المعرفة كلها بمختلف قضايا الكون لا تستمد إلا من خلال هذا المعتقد دون غيره.

٧ - الاستعداد لمواجهة الاختلاف فى الرأى أو حتى التفسير بالعنـف.

بينما عرف «محمد بيومى» التطرف بأنه لا يعنى التمسك ببعض الآراء الفقهية المتشددة، ولكن التطرف اتجاه عقلى يجعل الفرد يؤمن بأن أفكاره واعتقاداته هى الصحيحة، ومن ثم يتشدد فى الحكم على الآخرين إما باتباعها أو الحكم عليه بالكفر.

٥ - التعريفات النفسية

تنقسم التعريفات النفسية لاتجاهين، الاتجاه الأول يركز على تناول التطرف كأسلوب للاستجابة التى تنحرف سلبًا وإيجابًا عن المتوسط ويتمثل ذلك الاتجاه فيما أشار «مصطفى سويف»، من أن الاستجابة المتطرفة تنقسم إلى الاستجابة المتطرفة الإيجابية، وهى دليل على مستوى أعلى من التوتر النفسى، والاستجابة المتطرفة السلبية وهى مقياس لقوة الأنا، وقد سار على هذا المنهج الكثير من الباحثين الذين اعتبروا المتطرفين وفقًا لهذا الأساس هم الذين يحصلون على أعلى الدرجات على مقياس التطرف العام (±٢)، أما الاتجاه الثانى فهو الاتجاه الذى ركز على معنى التطرف.

وفيما يلى بعض التعريفات النفسية للتطرف:

عرف «سعيد نصر» التطرف بأنه يتمثل فى الاستجابة الأكثر تطرفًا التى تنحرف إلى أعلى «High Extremity» أو إلى أسفل «Low Extremity» عن التقدير المتوسط أى أن الحاصلين على أعلى الدرجات وأقل الدرجات على مقياس دراسته، هم أكثر الناس تطرفًا فى أحكامهم، بينما الحاصلون على الدرجات الوسطى منهم هم المعتدلون فى أحكامهم.

أما «طه المستكاوى» فقد اعتبر أن السلوك المتطرف سلوك شاذ وأن السلوك المعتدل سلوكًا سويًا وأن المتطرفين هم الذين يحصلون على أعلى وأقل الدرجات على مقياس الاتجاهات الدينية بالمقارنة بباقى أفراد العينة الكلية، وقسم المتطرفين إلى فئتين فرعيتين هما:

أ - فئة المتطرفين إيجابًا فى اتجاهاتهم الدينية.

ب- فئة المتطرفين سلبًا فى اتجاهاتهم الدينيـــة.

بينما عرف «رزق سند» التطرف بأنه اتخاذ الفرد موقفًا متشدداً يتسم بالقطعية فى استجاباته للمواقف الاجتماعية التى تهمه والموجودة في بيئته التى يعيش فيها هنا والآن، وقد يكون التطرف إيجابيًا فى اتجاه القبول التام أو سلبيًا فى اتجاه الرفض التام ويقع الاعتدال فى منتصف المسافة بينهما.

فى حين عرف «محمد الشيخ» التطرف بأنه تعبير عن ارتفاع مستوى التوتر النفسى العام، ومفهوم التوتر فى هذا السياق يقصد به الأساس الدينامى القائم وراء الشعور بتهديد الطمأنينة أو بتهديد أى اتزان قائم بالنسبة للشخص ككل أو لجانب من جوانبه بالنسبة لأحد اهتماماته مثلاً، مما يترتب على ذلك من تحفز للقضاء على هذا التهديد.

كما عرف «محمد عبد الظاهر» التطرف بأنه ظاهرة يمكن أن تكون ثورة على الواقع إن لم يكن ذلك الواقع مقنعًا أو كافيًا، أو قد تكون هروبًا من ذلك الواقع إذا كانت الثورة عليه مستحيلة.

بينما عرفت «أمينة الجندى» التطرف بأنه أسلوب للاستجابة يتمثل فيه خروج عن القواعد الفكرية والقيم والمعايير والأساليب السلوكية السائدة فى المجتمع، معبراً عنه بالعزلة والسلبية والانسحاب أو يتبنى قيمًا ومعايير مختلفة قد يصل الدفاع عنها إلى حد استخدام العنف والاصطدام بالمجتمع.

وأيضًا عرف «كورت ليفين K. Levvin» التطرف بأنه السلوك الذى يثبت على الاتجاه نحو هدف معين لا يتزحزح عنه أو مجموعة العادات التى يتمسك بها الفرد بشدة.

لكن «أندرسون Anderson» يعرف التطرف السلبى بأنه استجابة ساعية إلى السيطرة الاجتماعية أو إلى التعامل مع الآخرين تعاملاً يتجاهل ما قد تنطوى عليه شخصياتهم من غنى وتنطوى غالبًا على الصراع.

كذلك عرف «منصور الرفاعى» التطرف بأنه جنوح فكرى وسلوكى إلى أقصى طرف يمينًا أو يساراً وهو ينشأ من التناقض فى المصالح أو القيم بين أطراف تكون على وعى وإدراك لم يصدر منها، مع توافر الرغبة لدى كل منهما للاستحواز على موضع لا يتفق بل وربما يصطدم مع رغبات الآخرين، مما يؤدى إلى استعمال العنف الذى يؤدى إلى تدمير الجانب الحضارى فى الكيان البشرى.

بينما يعرف «أحمد محمد» التطرف بأنه الميل عن القصد، والقصد هو الطريق الوسط الميسر للسلوك، والمتطرف هو الذى يميل إلى أحد الطرفين ولا شك أن السير فيه شاق، غير مرغوب فيه، ومن هنا أطلق لفظ الوسط على الاعتدال أو على الشىء المعتدل بين طرفين غير مستقيمين، واختاروه طريقًا أمثل للسلوك، كما يشير «أحمد محمد» لقول علماء الأخلاق فى الفضيلة: أنها وسط بين رذيلتين، كالشجاعة وسط بين الجبن والتهور، وكالاقتصاد بين البخل والإسراف، وكما يعبر بعض الكتاب عن الاعتدال فى كل شىء لأنه البعد عن الإفراط والتفريط، والذى يحدد القصد ويعد الميل عنه انحرافًا قد يكون هو الدين، وقد يكون القانون، وقد يكون العرف الخاص أو العام، وقد يكون شيئًا آخر يوزن به الفكر والسلوك، ويطلق التطرف على الإفراط أى المغالاة فى الالتزام.

كما عرف «رشدى فام» التطرف بأنه خاصية إحصائية تنسب موقع الفرد المتطرف إلى موقع الفرد العادى فيبدو موقعه بعيداً عن المألوف أو المعتاد أو المتعارف عليه، أى أن التطرف هو ابتعاد عن متوسط ما، سواء عن يمينه أو عن يساره .

•• فى ضوء العرض السابق لتعريفات التطرف نستخلص عدداً من المؤشرات على النحو التالى:

١ - التطرف سواء كان «دينيًا - سياسيًا - اجتماعيًا ... إلخ» يقصد به الغلو والتشدد وتجاوز حد الاعتدال.

٢ - التطرف خروج عن الوسط الميسر للسلوك.

٣ - التطرف أسلوب يتسم بالجمود العقائدى والانغلاق الذهنى.

٤ - التطرف خاصية إحصائية تحدد موقع الفرد المتطرف بالنسبة لموقع الفرد العادى.

٥ - التطرف يتمثل فى الاستجابة الأكثر تطرفًا التى تنحرف إلى أعلى أو إلى أسفل عن المتوسط.

٦ - التطرف اتخاذ الفرد موقف متشدد يتسم بالتصلب والجمود.

٧ - التطرف تعبير عن ارتفاع مستوى القلق والتوتر.

٨ - التطرف يتسم بالتشدد والغلو فى فهم أمور الدين وفى الممارسات ذات الطابع الدينى.

وعلى الجانب الآخر .. فقد لاحظت أنه فى ضوء العديد من الدراسات والمؤلفات والكتابات السابقة، أن الباحثين يخلطون كثيراً بين مفهوم التطرف وبين كلٍ من مفهومى «التعصب والإرهاب» ومنعًا للوقوع فى مثل هذا الخطأ من ناحية، وتوضيحًا للفرق بين المفاهيم الثلاثة «التطرف، والتعصب، والإرهاب».

من ناحية أخرى، فقد رأيت - عزيزى القارئ - بعد عرض تعريفات التطرف، أنه من الضرورى توضيح أهم التعريفات التى تناولت التعصب والإرهاب كلاً على حدة .

ب- تعريف التعصب Prejudice

التعصب فى اللغة من العصبية ومعناها أن يدعو الرجل لنصرة عصبته والتحالف معهم على من يعاديهم ظالمين كانوا أو مظلومين، والعصبى هو من يعين قومه على الظلم وهو الذى يغضب لعصبته، والعصبة هم الأقارب من جهة الأب، والتعصب هو المحاماة والمدافعة.

وفي أصله الأوروبي يشتق مفهوم التعصب من الاسم اللاتيني « Prejudicium » وقد مر هذا المفهوم بثلاث مراحل حتى وصل إلى معناه الحالي:

١ - المعنى القديم وقصد به الحكم المسبق الذى يقوم على أساس القرارات والخبرات الفعلية.

٢ - وفيما بعد اكتسب المفهوم فى الإنجليزية معنى الحكم الذى يصدر عن موضوع معين قبل القيام باختبار وفحص الحقائق المتاحة عن هذا الموضوع فهو هنا بمثابة حكم متعجل مبتسر.

٣ - وأخيراً اكتسب المفهوم خاصيته الانفعالية الحالية، سواء بالتفضيل أو عدم التفضيل والتى تصطحب الحكم الأولى المسبق الذى ليس له أى سند يدعمه.

●● وفيما يلى عرض مختصر لأهم التعريفات التى تناولت التعصب:

يعرف «كلينبرج Klineberg» التعصب بأنه مشاعر أو استجابات خاصة تميز بعض الأشخاص وتكون سابقة لحدوث الخبرات الواقعية ولذلك لا تقوم على أساسها وهى ربما تكون إيجابية أو سلبية، وتوجه نحو أى موضوع من الموضوعات العديدة المتنوعة.

بينما يعرف «شريف Sherif» التعصب بأنه موقف معاد ضد الجماعات الخارجية وخاصة عندما لا يكون هناك تفاعل مباشر بين هذه الجماعات وبين الجماعة التى ينتمى إليها الفرد.

كما يعرفه «البورت Allport» بأنه التفكير السيئ عن الآخرين دون وجود دلائل كافية.

ويرى «كريتش Krech» أن التعصب هو اتجاه يتسم بعدم التفضيل نحو موضوع معين ينطوى على مجموعة من القوالب النمطية شديدة العمومية من الصعب تغييره حتى بعد توفر المعلومات المخالفة له.

بينما يرى «كينز كلارك Kenth Clark» أن التعصب السلبى يتمثل فى التعصبات ذات التأثير الضار والمهدد لوحدة وتكامل الأفراد والجماعات مثل التعصبات السلالية والاقتصادية والاجتماعية، أما التعصب الإيجابى فيكون له آثار اجتماعية وشخصية طيبة مثل التعصب ضد الأغذية الفاسدة، علاوة على ذلك هناك التعصب الحيادى والذى ليست له آثار ضارة أو نافعة مثل النفور الواسع النطاق من أكل لحوم الأحصنة.

وفى تعريف «روز Rose» يرى أن التعصب اتجاه سلبى نحو جماعة عنصرية أو دينية أو قومية.

وفي تعريف آخر لـ «شريف Sherif » يعرف التعصب بأنه اتجاه سلبى يتبناه أعضاء جماعة معينة مستمد من معاييرها القائمة ويوجه نحو جماعة أخرى وأعضائها الأفراد.

ويعرفه «سيمبسون وينجر Simpson and Yinger» بأنه اتجاه انفعالى متصلب نحو جماعة من الأشخاص.

ويرى «محمد الجوهرى» أن التعصب هو اتجاه عداء تجاه جماعات أخرى ربما كان مضمونه الحقيقى هو الخوف، وقد ينطوى فى حالات أخرى على الاحتقار والنفور، وليس من الضرورى أن يتحول هذا الاتجاه إلى إجراءات عملية فعالة للتميز بين جماعة الأغلبية من ناحية وجماعة أو جماعات الأقلية من ناحية أخرى.

كما يرى «فؤاد زكريا» أن التعصب مفهوم يتضمن عنصرين: أحدهما إيجابى والآخر سلبى، والعنصر السلبى هو اعتقاد المرء بأن الفئة التى ينتمى إليها سواء كانت قبيلة أم وطنًا أم مذهبًا فكريًا أو دينيًا، أسمى وأرفع من بقية الفئات، والعنصر السلبى هو اعتقاده بأن تلك الفئات الأخرى أحط من تلك التى ينتمى إليها.

ويعرف «مصطفى زيور» التعصب بأنه الحكم المسبق الذى يتخذه صاحبه إزاء جماعة أو أحد أفرادها دون سند من الخبرة أو الواقع ويشير الاصطلاح فى

الغالب إلى الحكم السلبى حيال هذه الجماعة عنصرية كانت أو قومية أو دينية، كذلك يتميز التعصب بصعوبة تعديله أو تغييره حتى فى ضوء الشواهد المنافية له كما أنه يتسم بالجمود وعدم المرونة والتعميم المطلق دون سند من الخبرة المباشرة.

فى حين يرى «مصطفى الخشاب» أن سلوك المتعصب يتميز بالنظرة الحادة الضيقة الأفق ويتصف بالبعد عن التعقل، والتصلب فى الرأى والخضوع لسيطرة الانفعالات الجامحة والاستهانة بالقيم والعرف الاجتماعى السائد متى كان لا يلتقى مع اعتقاده.

بينما يعرف «أسعد رزوق» التعصب بأنه موقف عدائى يصطبغ عادة بصبغة انفعالية عاطفية أو موقف تحبيذى من الأفعال والأشياء التى تنتمى لنوع معين أو من بعض الأشخاص.

أما «أحمد زكى بدوى» فيرى أن مصطلح «Prejudice» يعنى التحيز وليس التعصب ويعرفه بأنه اتجاه انفعالى فى الغالب يجعل الفرد يجتبى ناحية دون الأخرى، ويرجع ذلك إلى مشاهدات الفرد والإيحاء والتقليد والمعتقدات والتجارب المحدودة، وقد يكون صحيحًا أو خاطئًا، ويقال: التمييز السلالى أو العنصرى «Racial Prejudice»، لتحيز أفراد السلالة لسلالتهم دون السلالات الأخرى.

فى حين يعرف «عبد المنعم الحنفى» التعصب بأنه الحماس المفرط لفكرة أو قضية أو شخص وقد يؤدى إلى أفعال فيها خطورة على الشخص أو الناس، والمتعصب يمتص ويتقمص موضوع التعصب ولكنه لا يتعمق فى فهمه .

بينما يعرف «فتحى محمود» التعصب بأنه الانتماء لجماعة معينة مع الاتجاه العدائى تجاه الأفراد والجماعات الأخرى واتخاذ حكم مسبق حيالها وغالبًا ما يكون حكمًا سالبًا.

أما «حامد زهران» يرى أن التعصب اتجاه نفسى جامد مشحون انفعاليًا، أو عقيدة أو حكم مسبق مع أو - فى الأغلب والأعم - ضد جماعة أو شىء

أو موضوع ولا يقوم على سند منطقى أو معرفة كافية أو حقيقة علمية، ومن الصعب تعديله، ويجعل الإنسان يرى ما يحب أن يراه فقط ولا يرى ما لا يحب أن يراه فهو يشوه إدراك الواقع، ويعد الفرد أو الجماعة للشعور والتفكير والإدراك والسلوك بطرق تتفق مع اتجاه التعصب.

كما يعرف «طارق عبد الوهاب» التعصب بأنه حكم غير موضوعى، إيجابى أو سلبى وفى معظم الأحيان يكون سلبيًا يتسم بوجود مشاعر تتسق مع هذا الحكم، سواء بالتفضيل والتحبيذ للجماعة التى ينتمى إليها الشخص (التعصب الإيجابى)، أو مشاعر عدوانية رافضة للجماعات الأخرى أو لأشخاص معينين لأنهم أعضاء فى هذه الجماعات (التعصب السلبى).

●● **فى ضوء العرض السابق لتعريفات التعصب نرى الآتى :**

١ - التعصب هو تلك المعتقدات والاتجاهات المتعلقة ببعض المساوئ التى يراها فرد أو جماعة ضد أقلية عنصرية أو قومية.

٢ - التعصب اتجاه يتسم بعدم التفضيل ضد جماعة معينة يحط من قدرها ومن قدر كل أعضائها.

٣ - التعصب اتجاه يمثل استعداداً للتفكير والشعور والسلوك بأسلوب مضاد للأشخاص الآخرين بوصفهم أعضاء فى جماعات معينة.

٤ - التعصب نسق من المشاعر والتوجهات السلوكية المتصلة بأعضاء جماعة معينة.

٥ - التعصب أحكام مسبقة ومعتقدات خاطئة تتصل بأشخاص بعينهم أو موضوعات معينة.

٦ - التعصب اتجاه لا مبرر له وغير مرغوب فيه نحو جماعة عرقية أو دينية.

٧ - التعصب غلو فى التعلق بشخص أو فكرة أو مبدأ أو عقيدة بحيث لايدع مكانًا للتسامح.

٨ - التعصب يعنى التحيز مع أو ضد بعض الناس أو الآراء أو الأفكار.

٩ - التعصب اتجاه متصلب جامد نحو جماعة من الأشخاص.

١٠- التعصب موقف عدائى ضد الجماعات الخارجية.

١١- التعصب مجموعة من القوالب النمطية شديدة العمومية من الصعب تغييره حتى بعد توفر المعلومات المخالفة له.

١٢- أشكال التعصب المختلفة تتكون وتنمو قبل توفر الدلائل الموضوعية على صحتها.

(جـ) تعريف الإرهاب

من أصعب الأمور التى تواجه الباحث فى العلوم الاجتماعية والقانونية وضع تعريف للإرهاب، وعندما ننظر فى كتب الفقهاء نجد أن التعريفات عديدة والآراء كثيرة، ويوشك الفقه ألا يلتقى على تعريف إلا للأمور التى استقرت وتحددت وعرفت معالمها تمامًا.

وفى هذا الإطار نشير لوجود تعريفات متنوعة للإرهاب، فقيل إنه أى فعل يصدر من فرد أو مجموعة أفراد ضد فرد أو مجموعة أفراد، أو ضد المجتمع لأغراض سياسية، وقيل إنه استعمال العنف المادى للتأثير على الأفراد أو الجماعات أو الحكومة، وخلق مناخ من الاضطراب وعدم الأمن لتحقيق هدف معين يرتبط بتوجهات الجماعات الإرهابية ولكنه بصفة عامة يتضمن تأثيراً على المعتقدات أو القيم أو الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والعقابية والسياسية السائدة التى تم الاتفاق عليها بين المؤسسات والأفراد فى الدولة والتى تمثل مصلحة قومية عليا للوطن، ويمكن القول إن الإرهاب هو استخدام العنف المادى والأدبى لزعزعة الأمن والاستقرار فى البلاد وإثارة الفوضى والاضطراب فيها لتهيئة الجو المناسب لتحقيق أهداف سياسية مثل إضعاف نفوذ الدولة السياسى وتغيير نظام الحكم والاستيلاء على السلطة.

•• وفيما يلى عرض مختصر لأهم التعريفات التى تناولت الإرهاب:

يشير «أحمد أبو الوفا» إلى أن فكرة الإرهاب تقوم أساسًا على استخدام العنف لخلق حالة من الرعب والفزع قد تدفع إلى تقديم تنازلات معينة بخصوص مسألة محددة، وهكذا تقرر المادة (١، ٢) من اتفاقية منع الإرهاب والمعاقبة عليه المبرمة فى (١٦ نوفمبر سنة ١٩٣٧) تحت رعاية عصبة الأمم المتحدة - والتى لم تدخل دائرة التنفيذ - أن أعمال الإرهاب تشمل الأفعال الإجرامية الموجهة ضد دولة ما والتى ترمى أو يحسب لها أن تخلق حالة من الفزع فى عقول أشخاص معينين أو مجموعة من الأشخاص أو الرأى العام.

بينما يرى «عاطف فؤاد» أن مشكلة المفاهيم وتحديدها وما يرتبط بها من محاولات لتقديم أطر ونماذج للتفسير من المتعذر أن نجردها من أبعادها الأيديولوچية، لا سيما بالنسبة للمفاهيم السياسية والاجتماعية فمفهوم الإرهاب على سبيل المثال هو: «توصيف أيديولوچى لحالة من التوتر البنائى سياسيًا واجتماعيًا تخلعها السلطة السياسية على تلك الحالة» .

كذلك يشير «أحمد أبو العلا» إلى أن الإرهاب طبقًا للتعريف الذى وضعه المشرع المصرى فى المادة (٨٦ من القانون رقم ٩٧ لسنة ١٩٩٢) هو: كل استخدام للقوة أو العنف أو التهديد أو الترويع، يلجأ إليه الجانى تنفيذاً لمشروع إجرامى فردى أو جماعى بهدف الإخلال بالنظام العام أو تعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر، إذا كان من شأن ذلك إيذاء الأشخاص أو إلقاء الرعب بينهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بالاتصالات أو المواصلات أو بالأموال أو المبانى أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو منع وعرقلة ممارسات السلطات العامة أو دور العبادة أو معاهد التعليم لأعمالها أو تعطيل تطبيق الدستور أو القوانين أو اللوائح.

كما يعرف «يحيى الجمل» الإرهاب بأنه ذلك النوع من الجرائم الذى يستهدف أساسًا ترويع مجتمع معين، ترويع الناس وإقلاقهم وإثارة الذعر فى

هذا المجتمع لأهداف لا يمكن أن تكون كريمة ولا يمكن أن تكون مشروعة والإرهاب يتمثل أساسًا فى أفعال تنطوى على عنف موجه لأفراد غير محددين بذواتهم وأحيانًا يكونون محددين، وهنا يختلط الإرهاب بالجريمة المنظمة، لكن الإرهاب يقصد أساسًا ترويع أناس آمنين لا ذنب لهم ومن هنا قد يختلف الإرهاب عن الجريمة المنظمة، فالجريمة المنظمة لها هدف واحد وهو ما يميزها عن الإرهاب الذى يكون عشوائيًا قصده أساسًا الترويع والإقلاق للمجتمع وبث الذعر فى نفوس الناس، فالإرهاب وصف لأنواع معينة لجرائم وأفعال تهدد الرأى العام وتصيبه بالذعر وتهدد الناس تهديداً عشوائيًا.

بينما يشير «مفيد شهاب» إلى أن الإرهاب فى القانون الدولى هو الاستخدام العمدى والمنظم لوسائل من طبعها إثارة الرعب بقصد تحقيق أهداف سياسية أو اجتماعية معينة دون أن يقصد من هذه الأفعال ارتكاب عنف ضد شخص معين أو أشخاص بذواتهم، لكن إثارة حالة من القلق والبلبلة العامة.

ومن هنا وكما يرى «مفيد شهاب» هناك عناصر مهمة لا بد من توافرها لكى نقول إن هذا إرهاب بمعيار القانون الدولى.

- **العنصر الأول:**

هو خلق حالة شديدة من الرعب والفزع وعدم الاطمئنان تحدث أثراً نفسيًا وبلبلة وقلقًا عند الناس وتحدث آثاراً جسمانية عند البعض منهم كقتل، وإصابة، ... إلخ.

- **العنصر الثانى:**

أن هذا الفعل الإرهابى يعتمد بطبيعته على استخدام وسائل عنف شديدة وعامة بطبيعتها مثلاً: اختطاف طائرة - احتجاز رهائن - إلقاء قنابل ومتفجرات، فهى كلها وغيرها أعمال غير مشروعة تتميز باستخدام عنف شديد.

- **العنصر الثالث:**

أن يكون الهدف منها هدفًا عامًا وليس إيذاء شخص معين بذاته وإنما أهداف متنوعة قد تكون سياسية أو اجتماعية أو مذهبية، وقد يكون الهدف منها هو المطالبة بشىء عاجل مثل إجبار هيئة أو نظام الحكم على أن يتصرف بطريقة معينة تجاه تنظيم معين أو غيره.

وأيضًا يعرف «أحمد جلال» الإرهاب بأنه استراتيجية عنف منظم ومتصل، استراتيجية أولاً وليس عملاً فرديًا وإنما هو عنف منظم ومتصل يثار من خلال حملة من أعمال القتل والاغتيال واحتجاز الرهائن وكل ما شابه ذلك من أفعال أو التهديد بها بقصد خلق حالة من الرعب العام، وبهدف تحقيق مطالب سياسية معينة، والمطالب السياسية هنا تشمل إكراه السلطة على اتخاذ قرار أو العدول عن اتخاذ قرار أو التأثير على اتخاذ القرار أو تغيير النظام الاجتماعى ككل، وليس هناك تفرقة فى هذا المجال بين المطالب السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية وإنما كلها تدخل تحت إطار المطالب السياسية لأنها فى النهاية تنتهى إلى إكراه السلطة السياسية للدولة على اتخاذ قرار معين أو الامتناع عن قرار.

بينما يضع «أحمد سعيد» مفهومًا للإرهاب يستند إلى أربعة أسس رئيسية:

أولاً : عنصر يقول إن الجريمة الإرهابية يجب أن يكون لها شكل من أشكال العنف أى أنه بدون عنف لا يوجد إرهاب، أى أن أول ما يميز الجريمة الإرهابية هو العنف وهذا محل اتفاق بين جميع الدول بلا استثناء.

ثانيًا: إن الإرهاب هو وسيلة لتحقيق غاية سياسية لأنه إذا كان الإرهاب بقصد تحقيق كسب مادى فهذا يعد ضمن إطار الجريمة المنظمة أو ضمن أى شكل آخر للجريمة، أما إذا كان الغرض من العنف هو تحقيق غاية سياسية أو هدف سياسى فإن هذا هو العنصر الثانى من عناصر الجريمة الإرهابية.

ثالثًا: لا بد أن تتضمن الجريمة انتهاكًا لحقوق الإنسان الفكرية أو السياسية أو العقلية أو البدنية ..... أو غيرها.

رابعًا: أن يكون لها طابع رمزى فعندما يأتى الإرهابى ويقتل شخصًا فإنه لا يقتله لذاته وإنما - فضلاً عن هذا - لكى يبث حالة من الرعب فى نفوس الآخرين.

كما يعرف «عبد العظيم رمضان» الإرهاب بأنه القتل العمد للمدنيين وتفجير أو نسف أو تخريب المنشآت غير العسكرية، واستخدام العنف أو التهديد به ضد المجتمع بوجه عام.

وأيضًا يعرف «دومينيك شوفالييه» الإرهاب بأنه عملية مسلحة عنيفة تقوم بها مجموعات صغيرة ضد إحدى الدول فى أشكال متنوعة وتسعى إلى النيل من المسئولين بهذه الدولة أو مواطنى الدولة نظراً لأن قتل المواطنين يهز الهياكل السياسية للدولة.

•• تعقيبا على تعريفات الإرهاب السابقة نستخلص الآتى:

١ - معروف أنه فى العلوم الاجتماعية لا بد أن يتصف التعريف بأن يكون جامعًا مانعًا ولكن وكما أكد الباحثون فعملية وضع تعريف مانع جامع لموضوع الإرهاب عملية فى غاية الصعوبة إن لم تكن مستحيلة.

٢ - لاختلاف الآراء حول تعريف الإرهاب انتهت الأمم المتحدة فى المؤتمر الثامن لمنع الجريمة سنة ١٩٩٠، إلى أنه ليست هناك ضرورة لوضع تعريف للإرهاب لأن هذه المسألة مختلف عليها إلى حد أنه لا يمكن الوصول إلى اتفاق بشأن هذا التعريف، ولو اطلعنا على كتب الفقه نجد كتبًا ضخمة بدون الوصول إلى تعريف متفق عليه من الجميع، لكن رغم هذا الاختلاف أرى أن هناك معالم مشتركة بين التعريفات التى تناولت مفهوم الإرهاب على النحو التالى:

أ - الإرهاب استراتيجية تقوم أساسًا على استخدام القوة والعنف.

ب- لخلق حالة من الرعب والفزع والترويع والتهديد الموجه ضد المجتمع بوجه عام.

جـ- لتحقيق أهداف سياسية وليس الحصول على مكاسب مادية من وراء عملياته.

(٢) أنـواع التطـرف

يرى بعض الباحثين أن هناك خطأ شائعًا بتقسيم التطرف إلى أنواع مضمونية أو شكلية دون وضوح المعيار المنطقى لهذا التقسيم، فأحيانًا يصنف التطرف حسب مضمونه كأن يقال: تطرف دينى - أو تطرف طبقى - أو تطرف قومى - أو تطرف سياسى أو تطرف عنصرى - ... إلخ».

بينما يشير البعض إلى أن التطرف قد يكون إيجابيًا بناءً، وقد يكون سلبيًا هدامًا فهو كظاهرة اجتماعية يظهر فى صور متباينة منها: التطرف السياسى - التطرف الاجتماعى - التطرف الدينى - التطرف الفكرى والفنى.

فى حين يرى باحثون آخرون أن أنواع التطرف تتمثل فى نوعين رئيسين هما:

أ - التطرف فى الفكر.

ب- التطرف فى السلوك.

وفيما يلى توضيح لهذين النوعين من أنواع التطرف:

أ- التطرف فى الفكر

الفكر قد يكون مجرد رأى وصل إليه العقل بطريقة أو بأخرى، وقد يكون عقيدة عند الاقتناع به وتحرك الوجدان نحوه وانفعال النفس به، انفعالاً يظهر أثره فى القلب حبًا أو كراهية، ومن السهل الانتقال عن الرأى إلى رأى آخر عند وضوح الرؤية لصاحبه، إما عن طريق الدليل الأقوى وإما عن طريق مؤثر آخر من المؤثرات الكثيرة التى تتدخل فى العمل العقلى.

أما العقيدة وهى الرأى الذى قواه الوجدان فمن الصعب العدول عنها، فهى تحتاج إلى حجة أقوى ومعالجة أشد وقد تزداد عمقًا ورسوخًا فى النفس، إذا كانت لها قدسية «كالعقيدة الدينية»، أو مر عليها زمن طويل وصارت تقليداً موروثًا.

فمن الانحراف فى الرأى التعصب لحكم اجتهادى ليس له دليل قاطع فى ثبوته أو دلالته كالتعصب لمسح كل الرأس فى الوضوء، ومن الانحراف فى العقيدة إنكار وجود الإله الخالق كما فى بعض الأيديولوچيات السياسية والنظريات الاقتصادية التى تعتبر الدين أفيونًا للشعوب.

ب- التطرف فى السلوك

السلوك إما قول باللسان وما يقوم مقامه من إشارة وكتابة ونحوهما وإما عمل بالجوارح الظاهرة والباطنة استقلالاً أو مشاركة، بطريق مباشر أو غير مباشر كإقرار عمل الغير والرضى به، والانحراف فيه قد يكون بترك فعل المطلوب أو التقصير فى أدائه، كترك الصلاة كلها أو ترك بعضها.

وأخطر أنواع التطرف كما يرى بعض العلماء، هو تطرف الفكر والبعد به عن القصد أى الطريق الوسط الميسر للسلوك، ذلك أن السلوك نابع منه ومتأثر به، وقد قال علماء الأخلاق والتربية إن كل عمل لا بُد وأن تسبقه خطوات: العلم به، ثم الاقتناع به، ثم توجه الإرادة لتنفيذه، فالسلوك بغير دافع من رأى أو عقيدة تخبط.

والتطرف بطرفيه الإفراط والتفريط فى الرأى والعقيدة يضر صاحبه والله وحده هو الذى يجازيه عليه ما دام لم يتعد نطاق الإنسان نفسه، ولكن خطورته التى يجب أن ننتبه إليها تكون عندما يجهر به ويحاول أن يفرضه على غيره أو يستميله إليه وهذا إضرار لا يقره الإسلام.

وكذلك التطرف فى السلوك غلوا أو إهمالا يضر صاحبه فقط إذا لم تكن له صفة اجتماعية تؤثر على علاقته بالغير، وإن كان له تأثير ضار - إلى حد ما - إذا كان فى مقام القدوة كالأب فى الأسرة، المربى مع تلاميذه، الرئيس مع مرءوسيه، فالمحاكاة والتقليد من أهم وسائل التربية والتأثير على السلوك.

وتعقيبًا على ما سبق، أرى أن للتطرف أنواعًا متعددة أشار إليها بعض الباحثين: كالتطرف الدينى - التطرف السياسى - التطرف الاجتماعى - التطرف الفكرى - التطرف السلوكى - التطرف الطبقى - التطرف العنصرى - ... إلخ».

ومن الملاحظ وجود اختلاف بين الباحثين عند عرضهم لتلك الأنواع وهذا الاختلاف في الواقع يقتصر على الشكل فقط دون المضمون بمعنى أن هناك باحثين يقسمون أنواع التطرف إلى نوعين فقط؛ تطرف فكرى وتطرف سلوكى، بينما يشير البعض الآخر لأكثر من نوع للتطرف «الدينى - السياسى - الاجتماعى ... إلخ»، وذلك دون إخلال بالمضمون ذاته، فى حين يطالب البعض بضرورة وضع معيار منطقى واضح فى ضوئه يمكن تقسيم أنواع التطرف، وسوف يقتصر - عزيزى القارئ - هذا الكتاب على نوع واحد من أنواع التطرف وهو التطرف الدينى.

(٣) مظاهر التطرف الدينى

اهتم بعض الباحثين «السوسيولوچيين والسياسيين» بتحديد وعرض مظاهر التطرف الدينى، أو كما يشير البعض بمظاهر التطرف عن الدين، وفى ضوء ذلك هناك بعض الآراء من قبل بعض الباحثين لإبراز أهم مظاهر التطرف الدينى.

لعل أهمها أن أول مظهر من مظاهر التطرف هو التعصب للرأى تعصبًا لايعترف للآخرين برأى، وهذا يشير إلى جمود المتعصب على فهمهم مما لا يسمح له برؤية مقاصد الشرع ولا ظروف العصر، ولا يسمح لنفسه بالحوار مع الآخرين، فالمتطرف يرى أنه وحده على الحق ومن عداه على الضلال، وكذلك يسمح لنفسه بالاجتهاد فى الحق وأدق القضايا الفقهية، ولكنه لا يجيز ذلك لعلماء العصر المتخصصين منفردين أو مجتمعين ما دام أن ما سوف يصلون إليه مخالفا لما ذهب هو إليه.

ومن مظاهر التطرف أيضًا، التشدد فى القيام بالواجبات الدينية ومحاسبة الناس على النوافل والسنن كأنها فرائض، والاهتمام بالجزئيات والفروع والحكم على إهمالها بالكفر والإلحاد، وهناك مظهر آخر من مظاهر التطرف وهو العنف فى التعامل والخشونة فى الأسلوب والغلظة فى الدعوة،

بالإضافة لسوء الظن بالآخرين والنظر إليهم نظرة تشاؤمية لا ترى أعمالهم الحسنة وتضخم من سيئاتهم.

فالأصل عند المتطرف هو الاتهام والإدانة، ويبلغ التطرف مداه حين يسقط المتطرف عصمة الآخرين ويستبيح دماءهم وأموالهم وهم بالنسبة له متهمون بالخروج عن الإسلام، ولهذا تصل دائرة التطرف مداها فى حكم الأقلية على الأكثرية بالكفر والإلحاد.

وانطلاقًا من الإطار السابق نشير إلى أن هناك عدة مظاهر تدل على «التطرف عن الدين»، أو الغلو فيه تتمثل فى الآتى:

١- التعصب للرأى وعدم الاعتراف بالرأى الآخر.

٢- إلزام جمهور الناس بما لم يلزم الله به، مثل التزام التشديد دائمًا مع قيام موجبات التيسير.

٣- الغلظة والخشونة فى عرض الدين.

وفى ضوء ما تقدم نرى مدى الاتفاق بين الباحثين حول مظاهر التطرف الدينى حيث أكدوا على التعصب والجمود، الموقف العدائى تجاه المخالف فى الرأى أو العقيدة، أحقية المتطرف دون غيره للاجتهاد فى القضايا الفقهية وتفسير الأحكام ... إلخ، بالإضافة للتشدد والمغالاة، العنف فى التعامل والخشونة فى الأسلوب والغلظة فى الدعوة.

(٤) المحددات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للتطرف الدينى

يعتبر التعصب من أهم دلائل التطرف، حيث يعبر عن التصلب والتشدد لما يعتنق الفرد من أفكار وآراء وهو أسلوب غالبًا ما يؤدى إلى الانعزال عن الفكر السائد فى المجتمع ويغلق باب الحوار والفهم المتبادل، ويسد الطريق أمام فهم ما يستجد من أحداث أو أفكار، ويميل الشخص المتطرف إلى تقبل كل ما

يزيد من اقتناعه بالأفكار التى يدافع عنها وولائه لها إلى حد أن تصبح هذه الأفكار هدفًا فى حد ذاتها يكرس جهده وطاقته للدفاع عنها والمحافظة عليها، وخاصة إذا ما كانت تحقق له مكانة متميزة فى وسط الجماعة التى ينتمى إليها وقد يتجاوز هذا إلى محاولة فرضها على الآخرين ولو باستعمال القوة.

ومن ناحية أخرى، انتهى «ليڤين Levuin» إلى إبراز عنصر التدريج كمظهر من أهم مظاهر السلوك الناضج، إذاً الشخص الذى لا تتسم استجاباته بالتدريج، وإنما يصدر استجاباته فجائية تميل إلى أقصى اليمين أو أقصى اليسار، هو شخص غير ناضج اجتماعيًا وكذلك فهذا الشخص الذى تستقر استجاباته فى أقصى اليمين وأقصى اليسار أى يقف عند طرفى متصل فهو شخص متطرف.

وفى ضوء ما سبق، نستخلص النقاط التالية:

١ - أن المتطرف دينيًا يتسم بمعتقدات جامدة يعتنقها دون مناقشة لها.

٢ - أن المتطرف دينيًا يتسم بالتعصب والتشدد والجمود.

٣ - أن المتطرف دينيًا استجاباته دائمًا عند طرفى متصل.

٤ - أن المتطرف دينيًا يتسم بالشك وعدم الثقة بالذات وبالآخرين.

٥ - أن المتطرف دينيًا يميل إلى تبرير كافة الأحداث والمواقف وفقًا لمصلحته، فهو غالبًا ما يبرر الأمور لهواه ورغبته.

وعمومًا نجد أن شخصية الإنسان فى العصر الحديث هى نتاج لشدة التغيير الحادث، واهتزاز علاقات الإنسان التى كانت تربطه بذاته أو مجتمعه أو بالله عز وجل، فكل الجذور القديمة «الدين والمجتمع والأسرة والمهنة» تهتز الآن بقوة تحت التأثير العاصف للتغيير المتسارع، وعلى الرغم من أن التغير هو دومًا جزء من بيئة الإنسان، إلا أن الذى تغير حديثًا هو معدل هذا التغير.

لقد تأثر المجتمع المصرى بشدة التغير الحادث فى العالم وشهد تغيراً سريعًا لا يتسم بالتوازن بين الجوانب المادية والجوانب الإنسانية مما أدى إلى

تغير واضح فى النسق القيمى وفى سمات الشخصية المصرية، وذلك لأن التنمية المادية والاقتصادية استأثرت باهتمام المخططين، ولم تنل تنمية الإنسان قدراً متكافئًا من العناية والرعاية، مع أن الإنسان هو هدف التنمية وهو أداتها فى نفس الوقت.

ونجد أن الباحثين «السوسيولوچيين والسياسيين»، عند تناولهم للمحددات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للتطرف الدينى، قد ركزوا على فترة السبعينات حيث إن تلك الفترة قد شهدت تزايداً ملحوظًا لظاهرة التطرف الدينى، ويُرجع الباحثون هذا التزايد إلى التغيرات والتحولات الجذرية التى شهدتها مصر خلال فترة السبعينات فقد بدت ظاهرة التغير الاجتماعى «Social Change» واضحة وسريعة ومفاجئة.

وبالطبع عانى الشباب المصرى من تأثير هذا التغير وفى نفس الوقت الذى يعانى فيه المجتمع أصلاً كمجتمع نام من المرحلة الانتقالية، فكان الصراع بين الأصالة ومحاولة الحفاظ على الهوية المصرية وبين رياح التحديث والانفتاح على العالم الخارجى والاطلاع على الثقافات الأخرى عن طريق المخترعات الحديثة والتكنولوچيا.

ولا شك أن هذا القدر من التحولات التى وقعت فى إطار المجتمع المصرى، قد أثرت على الشباب وأدت إلى نوع من التسيب الأيديولوچى والثقافى والاجتماعى والاقتصادى، مما أدى إلى اهتزاز ملامح الشخصية الشابة المصرية وظهور تساؤلات عن هويتهم وعدم وضوح الأولويات التى يستندون إليها فى تحديد شخصياتهم، والتى إذا لم يتمكن الشخص من تحديدها فإنه عادة ما يشعر بداخله بتمزق ويكون لذلك آثاره على الشخصية والمجتمع على السواء.

على حين يربط البعض بين البعد الثقافى وحالة الاغتراب الاجتماعى عند الطلاب بقولهم: إن المظهر البارز لاغتراب الطلاب الذى يضم ذلك الشتات

المتناقض هو الثقافة المضادة التى تصدر عن مجتمعهم كنوع من العداء ضد الثقافة الاجتماعية العامة، وكتعبير عن الفجوة التى يشعرون بوجودها بينهم وبين الكبار الذين ينظرون إليهم باستخفاف مما يدفعهم إلى تأكيد هويتهم وإثبات وجودهم.

فهم حين يثورون فإنما يثورون على أنفسهم وعلى المجتمع الذى يمثل سلطة الأب بما تفرضه من وصايا، وغضبهم غضب طفولى فى بعض الأحيان لأن الواحد منهم لا يعرف من هو، ولذلك يحاول الاندماج مع الآخرين من أقرانه فى مجتمع دفاعى يعطيه كيانًا متمايزاً عن غيره من أعضاء المجتمع وليستبدل هويته بهوية مصنوعة تشبع حاجاته التى لم تجد إشباعًا فى مجتمعه الواسع أو فى أسرته، ومن خلال الغضب يشعر الطلاب من الشباب والمراهقين بقوتهم وقدرتهم على التدمير ومن ثم بتماسكهم كجماعة ضد القوى الأخرى التى يعادونها.

ومن ثم، أرى أن شبابنا العربى هو من أكثر شباب العالم احتياجًا للمتابعة خاصة وأنه يمر بظروف خاصة، أبسط ما يمكن أن توصف به أنها الظروف التى تصاحب دائمًا مراحل الانتقال وما يكتنفها من عدم استقرار وعدم وضوح للرؤية وهو ما يجعله دائمًا فى موقف الإحباط والانسحاب والشعور باللامعيارية.

ولعل أخطر ما أصاب الكيان الاجتماعى فى زمن الانفتاح هو غلبة الحلول الفردية للمشكلات، بعد أن عجز المجتمع عن توفير الحلول الجماعية لها، الأمر الذى يتضاءل معه إحساس الفرد بأنه جزء من كل، وتنزوى قيمة مشاعر الانتماء الاجتماعى، ويصاب الكيان الاجتماعى من جراء هذا وذاك بالتفكك والضعف.

(٥) دوافع التطرف الدينى

أجمع معظم الباحثين على أن مشاكل الشباب والمراهقين تنشأ نتيجة عدة عوامل وعقبات يواجهها الشباب فى باكورة أعمارهم، وقد ساهمت فى الحيلولة بينهم وبين إرضاء حاجاتهم الجسمية والنفسية والاجتماعية، وبين تحقيق النمو الجسمى والتكيف النفسى والاجتماعى السوى، بالإضافة لعدم استطاعة الشباب تحقيق طموحاته ورغباته، وظهور التضارب بين الدوافع وبين هذه الرغبات، وكل ذلك له آثاره الخطيرة فى مجال الفكر والسلوك.

كما قد تنشأ تلك المشكلات عن آثار التربية الخاطئة وانحرافات البيئة، وبعض الظروف المحيطة بهم والتى تؤدى إلى انحرافات نفسية للشباب والمراهقين وضعف معنوياتهم وشعورهم بالفشل والإحباط النفسى.

كما يضاف إلى الأسباب السابقة لمشكلات الشباب، ضعف الوازع الدينى والذى يجعل تصور الشباب لدور الدين فى الحياة باهتًا ، والشباب بدون عقيدة وعمل يكون سريع الاستجابة والاستسلام لهواه ورغباته، والعقوق لأسرته ووطنه وأمته، وهذا السبب الأخير يعد أقوى الأسباب لمشكلات الشباب فى وقتنا الحاضر، ذلك لأنه سبب داخلى يرتبط بالسلوكيات والاتجاهات والتى لايمكن إصلاحها إلا بالمعرفة الدقيقة للثقافة الإسلامية وتطبيقها سلوكيًا فى الحياة اليومية، أما الأسباب الصحية والجسمية وغيرها فهى أسباب يسهل معالجتها.

ويشير الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق - شيخ الأزهر السابق رحمه الله - قائلاً: لا بد أن نحلل أسباب التطرف بغض النظر عن نوعيته ومظاهره وقنواته، فإنه يلبس أثوابًا عديدة ويلبس لكل حال لبوسها.

وظاهرة التطرف الدينى، كما يشير «روبرت ميرتون Robert Merton» ظاهرة مركبة وأسبابها كثيرة ومتنوعة ومتداخلة، فمنها ما هو دينى ومنها ما هو سياسى ومنها ما هو اجتماعى، ومنها ما هو اقتصادى ومنها ما هو نفسى،

وقد يكون سبب التطرف ذاتياً بحتًا أى يرجع إلى شخصية الفرد ذاته وتنشئته الاجتماعية وعلاقاته داخل الأسرة وأصدقائه، وقد ترجع الأسباب إلى المجتمع الذى يعيش فيه الفرد وما يحمله من تناقض قيمى أو تناقض صارخ بين الواقع والمثال، والتفاوت الاجتماعى والاقتصادى وعدم وضوح الرؤية المستقبلية أمام الشباب.

وفى ضوء ذلك نشير إلى أنه لا يمكن تفسير ظاهرة التطرف الدينى بعامل واحد فقط، بل تتعدد وتتداخل الأسباب، وإذا كان من الضرورى مراعاة ظروف وخصوصية كل دولة على حدة، فإن هذا لا يمنع من القول بوجود قواسم مشتركة بين الأسباب التى تؤدى إلى هذه الظاهرة فى المناطق المختلفة، وعمومًا فإنه لا يمكن فهم هذه الظاهرة بعيداً عن المشكلات والأزمات التى تعرفها الدول العربية والمرتبطة بعمليات التحديث والتنمية.

وتؤكد إنجازات العلوم الاجتماعية، كعلم الاجتماع والانثروبولوچيا وعلم النفس، أن الشخصية نتاج اجتماعى تاريخى وأن النظم الاجتماعية من اقتصادية وسياسية وتربوية ودينية وأسرية وأيديولوچية تخلق نمطًا معينًا من الشخصية يتسم بالعمومية أطلق عليه العلماء تسميات مختلفة كالشخصية المنوالية أو الشخصية الشائعة أو الطابع القومى ... إلخ، ومعنى ذلك أن نبحث عن أسباب تنامى وانتشار الفكر المتطرف فى جوهر تلك النظم الاجتماعية وطبيعتها وليس فى الأفراد أنفسم أو الظروف والملابسات الضيقة المحيطة بهم، إذا أردنا حقيقة أن نصل إلى فهم علمى سليم لهذه الظاهرة.

وأرى أنه فى ضوء الأوضاع المجتمعية المختلفة ظهرت قيم جديدة فى المجتمع وهذه القيم هى تعبير عن مظاهر الاغتراب ومنها: إعلاء المصلحة الشخصية على المصلحة القومية، الكسب السريع والسهل على حساب بذل الجهد، الاهتمام باللحظة الحالية وليس الاهتمام بالمستقبل، الانتهازية والنفاق، الهروب من مواجهة الواقع والتصدى له، وأصبحت الصورة أمام الشباب أن كل ما يتمسك بالقيم والمبادئ مستقبله غير مأمون مما دفع ببعض الشباب

والمراهقين إلى الانخراط فى تيارات فكرية ودينية متطرفة كبديل للواقع المؤلم الذى يعيشون فى نطاقه، ولذلك انتشرت فى الفترة الأخيرة ظاهرة التطرف الدينى.

ومن ناحية أخرى، نشير إلى هشاشة الخطاب الدينى الرسمى، وضعف مستوى الكثير من أئمة المساجد الحكومية وعجزهم عن ملاحقة القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، كأسباب تؤدى للتطرف الدينى.

وفى هذا الإطار يتضح مدى تقصير المسجد وعلماء الشريعة المعاصرين فى تأدية رسالتهم، فالمسجد بالنسبة للشباب المعاصر مكان يؤدى فيه شعائر الصلاة فحسب، ومن هنا اجتمع التقصير فى رسالة المسجد مع العجز فى تأدية العلماء لرسالتهم فتضخمت المشكلة الروحية للشباب.

فقد كان للمسجد فى صدر الإسلام وظائف جليلة أهمل المسلمون اليوم عدداً منها فقد كان منطلقًا للجيوش وكان مركزاً تربويًا، يربى فيه الناس على الفضيلة وحب العمل وعلى الوعى الاجتماعى، وكان مصدر إشعاع خلقى يتشبع فيه المسلمون بفضائل الأخلاق.

ومن ثم، نجد أن انحسار دور المسجد يعد أحد الأسباب المهمة التى دفعت الكثير من الشباب والمراهقين الدائمى السعى للمعرفة والاستزادة والتفقه فى أمور الدين وتعاليمه وشرائعه إلى التطرف والمغالاة فى فهم الدين والتشدد فى أموره دون أساس علمى أو دينى، لأنهم فقدوا القدوة والموجه والمرشد الذى يدفعهم لطريق الصلاح ويجنبهم الفكر المتطرف الذى يسعى أدعياء الدين المتطرفين لغرسه فى أذهان النشء من المراهقين والشباب.

وعلى الجانب الآخر، يتناول بعض الباحثين النظام التربوى كإطار لتفسير أسباب التطرف الدينى، حيث نجد أن من أهم خصائص النظام التربوى المصرى المعاصر أنه نظام تلقينى، أى أنه يعتمد بصفة أساسية على حشو ذهن الطالب خلال مراحل الدراسة كافة بمعلومات عليه أن يحفظها دون أن يشغل عقله بالتحليل والنقد، كما أن من أهم خصائصه أيضًا تكريس الأمية الثقافية،

فالطالب فى مراحل الدراسة المتعاقبة يدرس أو يحفظ مواداً محدودة ولا يشجع على اكتساب الثقافة العامة عن العالم والمجتمع الذى يعيش فيه، وهذه الخصائص تُشيع ظاهرة التطرف الدينى.

كما أنه من ملامح الافتقار التخطيطى للنظام التعليمى زيادة عدد الطلاب فى المدارس وتكدسهم داخل الفصول الدراسية، ولا يقابل ذلك زيادة ملائمة فى أعداد المدرسين الأمر الذى يترتب عليه زيادة الأعباء على المدرسين وبالتالى تقل معه فرص اتصالهم بصورة مباشرة مع الطلاب وتزداد معه الفجوات فيما بينهم، وفى ضوء تلك الزيادة الرهيبة فى أعداد الطلاب، أصبحت المدرسة غير قادرة على الرقابة والإشراف والمتابعة، من هذا المنطلق أصبح دور المدرسة قاصراً فقط على التدريس والامتحانات.

وفى هذا الإطار نشير إلى بعد مهم من أبعاد العملية التعليمية وهو أن توافر كافة الوسائل التعليمية لا يحقق لها النجاح دون أن يكون هناك اتصال حقيقى ومباشر بين الأساتذة والطلاب تتحقق من خلاله المعرفة العلمية والتربية الاجتماعية لدى الطلاب وتكون ولاءاتهم مؤسسة على الحب والعطاء والانتماء، وعلينا أن نتخيل حجم الاستياء الذى يمكن أن يصيب الطلاب عندما تكون الوسائل التعليمية المتاحة غاية فى التواضع ومصحوبة بانفصال بين الطلاب والأساتذة، ذلك الانفصال الذى لم يكن قاصراً على العملية التعليمية فحسب، ولكنه امتد بكل أسف إلى أبعد من ذلك ليشمل الأنشطة التربوية والاجتماعية من خلال الريادة العلمية والأسر الطلابية، فنظام تعليمى كهذا لا يمكن أن يقدم للمجتمع إسهامًا تنمويًا حقيقيًا ولا يمكن أن يُكون ولاء مجتمعيًا عند الطلاب.

كما عزا البعض قضية التطرف الدينى لدى الشباب إلى ضعف التربية الدينية والخلقية، والتى يفتقر إليها الشباب فى دراسته والتى تؤهله إلى التفاعل مع مدرسة الحياة والمجتمع الكبير، ولكن المواد الدينية التى تدرس لهم تتصف ببعض السلبيات وأوجه القصور فيما يتصل بطرق تدريسها واختيار ما يناسب مستوى التلاميذ منها.

ومما لا شك فيه أن التربية الدينية فى مؤسساتنا التعليمية ليست تربية وإنما هى تلقين لبعض المعلومات عن الإسلام شكلاً، ولا يقدم جوهر الإسلام فى المدارس على الوجه الصحيح، وليست المدارس أكثر حظًا من الجامعات لأن التربية الدينية أو التثقيف الدينى معدوم أيضًا فى الجامعات إلا فى بعض الكليات التى تدخل الدراسات الشرعية فيها جزءاً من المنهج.

وهنا يؤكد «الباحثون التربويون» على وجود تقصير ظاهر فى مناهج التعليم فيما يختص بالعقيدة الإسلامية التى هى السلاح الأول فى مواجهة أى تحديات أو أية مبادئ هدامة، فنجد أن نصيب التربية الإسلامية حصة واحدة فى الأسبوع، وفى كثير من البلدان هذه الحصة اختيارية، وللطالب كامل الحرية فى أن يؤدى الامتحان بها أو لا، ومن ثم تكون حصيلتهم المعرفية ضئيلة جداً إذا قيست بمواد أخرى مثل الرياضيات أو العلوم.

ومن ثم، أرى أن هذا النقص الواضح فى مناهج العلوم الدينية فى كثير من البلاد الإسلامية ومن بينها «مصر» أدى إلى ظهور فريقين متناقضين من الشباب والمراهقين يتمثل إحداهما فى الشباب البعيد عن التعاليم الدينية والمتبنى للأفكار والسلوكيات الغربية التى لا تتفق مع قيم وأخلاقيات الشريعة الإسلامية، أما الفريق الثانى فيتمثل فى الشباب والمراهقين الذين يتشددون ويغالون فى أمور الدين لدرجة التعصب والتطرف.

وفى هذا الإطار وحول سمات النظام التعليمى الحالى نشير لعدة عوامل تدعم بدورها أحادية الرؤية وتنمية الاتجاه السلبى نحو نفى الآخر المغاير واستبعاده، ومن ثم تؤدى للتعصب والتطرف بصفة عامة والتطرف الدينى بصفة خاصة، تتمثل فى الآتى:

١ - فرض المعلم لأسلوبه فى التفكير والتعبير على التلاميذ.

٢ - المبالغة فى التقويم والنقد والحكم على أفكار التلاميذ طول الوقت بأنها تافهة أو سطحية على نحو يعوق طلاقة الأفكار.

٣ - الميل إلى عقاب التلاميذ الذين يظهرون الحساسية أو المثالية أو الشجاعة أو الشك أو التخمين أو العودة إلى بعض أنماط السلوك الطفلى.

٤ - اتجاه المعلمين السالب الذى لا يسمح بإطلاق العنان لخيال التلاميذ وتشجيعهم على الجرأة والجسارة فى التفكير عند تناول بعض القضايا أو المشكلات.

٥ - تشجيع المعلمين لسلوك الطاعة والمسايرة والتوافق مع المعيار العادى أو المتوسط أى تنميط وقولبة عقول التلاميذ بصبهم فى قالب واحد.

أما على المستوى الإعلامى، فقد قدم الباحثون العديد من التحليلات والتفسيرات، خلصتُ منها إلى أن أجهزة الإعلام بمختلف أنواعها وأساليبها قد أثرت تأثيراً مباشراً فى تشكيل النسق الثقافى للشخصية المصرية.

كما أنها - أى وسائل الإعلام - ساهمت بدور فعال فى تنامى ظاهرة التطرف الدينى، حيث انتشرت الأفلام الهابطة والمسرحيات التافهة والمقالات اللاذعة والتى أحدثت ازدواجًا فى البناء القيمى داخل المجتمع، بحيث أصبحت المعانى الهابطة التى تتضمنها بعض البرامج هى اللغة السائدة بين معظم الشباب الذين وجدوا أنفسهم فى حيرة أمام هذه المواد الإعلامية المتناقضة فى وظائفها مع بعض الأنساق الثقافية الأخرى.

فهم على سبيل المثال: عندما يدخلون المسجد يسمعون فيه شيئًا ثم يخرجون إلى الشارع فيجدون شيئًا آخر متناقض تمامًا عن الذى سمعوه، ثم يجلسون أمام التليفزيون يشاهدون برامج دينية قيمة ثم يعقبها برامج ترفيهية هابطة.

وقد أدت تلك الازدواجية فى الوظيفة الإعلامية إلى إحداث ازدواجية فى قيم ومعايير المجتمع، أصبح معها الشباب يعانى من مشكلة عدم وجود هوية محددة تكون بمثابة الإطار القيمى والمعيار الذى يوجههم فى حياتهم.

وعندما تظهر فى مثل هذا المناخ الثقافى اللامعيارى أى جماعة لها فكر ولها أيديولوچية، فإنها بإمكانها عبر ما تمتلكه من وسائل الجذب أن توجه إليها نظر الشباب والمراهقين ليتخذوا منها إطاراً قيميًا ومعياريًا، ومن ثم تصبح مصدراً للتعويض القيمى الذى افتقدوه داخل المجتمع الذى تميعت فيه القيم الثقافية واختلطت فيه المعايير.

كما أرى أن وسائل الإعلام وبخاصة الإذاعة والتليفزيون التى تقدم من خلال بعض المسلسلات أو الأفلام مضمونًا يؤكد على القيم السالبة، وعدم إعطاء القدرة للآراء التى توضح أن هناك رأى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى «الرأى الآخر» خطأ يحتمل الصواب، كذلك افتقاد هذه البرامج للنماذج المشرفة لقادة أو زعماء أو شباب متواجدين فى شتى قطاعات المجتمع ممن قدموا ويقدمون الكثير لبلادهم فى صمت وخشوع.

ذلك بالإضافة إلى بعض إعلانات التليفزيون الاستفزازية: إعلانات للكبار تركز على سيطرة القيم المادية والدعوة إلى المظهرية، وإعلانات خاصة بالأطفال تبث بذور الأنانية والغيرة والحقد على الآخر وجماع هذا مزيد من الإحباط.

كل هذا إلى جانب ما تقدمه بعض المسلسلات والأفلام من تركيز على السلبيات كالانحرافات والعنف والاستبداد بالرأى مما يؤدى إلى ترجيح تمثل واستحسان أطفالنا وشبابنا لهذه النماذج السلبية المتكررة فى إعلامنا، مما يدفع إلى مزيد من العدوانية والتطرف.

وفى ضوء ذلك نؤكد على أن وسائل الإعلام تكرس إبطال عمل العقل بالحوار أو النقد أو النقاش، فالصحف والمجلات والإذاعة والتليفزيون تكاد جميعها تعرض الرأى الواحد وهو الرأى الرسمى، حتى ولو اشترك فى عرضه عشرات الأفراد دون أن تتاح فرصة للرأى الآخر وللحوار والنقاش، الأمر الذى يكرس أيضًا القابلية للإيحاء وللتلقين.

كما يشير علماء الاجتماع إلى أن مرحلة الانفتاح الاقتصادى شهدت تدنيًا وانحساراً للثقافة الجماهيرية، فالهيئة العامة للكتاب مثلاً التى كانت تطبع وتنشر آلاف الكتب ذات الطابع الشعبى وبأسعار زهيدة لم تعد مصدراً للمعرفة والثقافة بالنسبة إلى شباب اليوم حتى إن ما تنشره أصبح فى غير متناول الغالبية العظمى من الشباب لارتفاع أسعاره، وتحولت الثقافة من خدمة جماهيرية إلى سلعة تجارية واستثمارية تهتم بالربح وبالمظهر أكثر من المضمون.

وفى قطاع المسرح انحسرت موجة المسارح الشعبية وتقلص دور القطاع العام الذى كان يزود الشباب بغذاء عقلى ويوسع من مداركهم بما يعرضه من مسرحيات بأسعار مقبولة، وتحول النشاط المسرحى إلى القطاع الخاص الذى أخذ يقدم الفن الهابط المبتذل والمتاح فقط لمن لديهم القدرة على تحمل أثمان هذه المسارح ولتلك الفئة من الشباب التى تتفق قيمها وميولها مع ذلك النوع من الفن المشجع على الانحراف، وينطبق الأمر نفسه على السينما وتخلى الدولة عن دورها فى الإنتاج السينمائى الثقافى الهادف وتوفير فرص المشاهدة للقطاع الأكبر من الشباب، وبالتالى نشأ نوع من الفراغ الثقافى.

أما بالنسبة للنظام الأسرى كإطار لتفسير أسباب التطرف الدينى يرى «الباحثون السوسيولوچيون والسيكولوچيون» أن مأساة الأسرة الحديثة تكمن فى فقدانها لأغلب الوظائف التى كانت تقوم بها وأهمها الوظيفة الدينية، ومن ثم فإن إهمال البيت كمؤسسة من المؤسسات التى من مسئولياتها أن تقوم بدور أساسى فى دعم الدين وتقويته جعل التركيز على المدرسة فى دعم هذا الجانب.

وإذا نظرنا إلى البيت نجد أن الدين من وجهة نظره مسألة شخصية، فالشاب أو المراهق يصلى أو لا يصلى أمر لا يهم بعض الآباء، فينشأ هذا الشاب وليس لديه حماس دينى يدفعه نحو الفضيلة ويبعده عن الرذيلة، وأكثر من ذلك فهو لا يرى فى أبيه وأمه القدوة الحسنة التى يقتدى بها، وتلك مشكلة لها آثارها فيما نراه اليوم من ضياع العلاقة الصحيحة بين الآباء والأبناء.

ومن هنا فالبيت المسلم مطالب بأن يضمن اتصال الأجيال الجديدة بأصول الإسلام لينشأ الأبناء على نهج الآباء المسلمين والأمهات المسلمات، أما إذا انحرف البيت عن وجهة الإسلام أو أهمل فى أداء واجبه فإن الخسارة حينئذ تكون فادحة، فغالبًا ما يقع الشباب والمراهقون فريسة سهلة للتيارات الهدامة، ولذا فتوفير التربية الإسلامية السليمة فى البيت هو الأمر الأول فى تكوين الوازع الدينى لدى شبابنا.

كما يشير «كيندر Kinder» لأساليب التربية والتنشئة الخاطئة فى الأسرة التى تؤدى إلى عدم نضج ونمو شخصية الطفل النمو السوى، وذلك لعدم إعطائه الفرصة لإبداء رأيه بحرية وشجاعة والإفراط فى النقد والحكم والرقابة والقسوة والمبالغة فى السيطرة، ومن ثم تصبح هذه الشخصية أحادية التفكير مما يؤدى إلى اتسامها فيما بعد بالجمود والتعصب والتطرف.

أما «جاكوب كونين Kounin» فلقد حدد ثلاثة أسباب أعتبرها مسئولة عن التطرف والتصلب وهى:

١ - انخفاض درجة تغاير بناء الشخصية، وهو ما يقصد به مستوى الثراء أو الفقر فى بناء الشخصية، فكلما تجانس البناء قل الرصيد السلوكى للتنوع الذى سيقابل الشخص به تنوعات مواقف الحياة ومقتضيات التوافق والنتيجة الظاهرة لذلك تطرف السلوك.

٢ - انخفاض درجة التغاير فى بناء منطقة بعينها من مناطق الشخصية، مما يترتب عليه تصلب السلوك المعتمد على هذه المنطقة.

٣ - انخفاض مستوى الشعور بالأمن والطمأنينة فى موقف معين كالخوف من الفشل أو عدم التأكد من النتائج التى ستترتب على الخطوات التالية، والتردد والتوجس فيما يتعلق بالمواقف غير المألوفة.

وكذلك قد يكون التطرف تعبيراً عن رغبة الطلاب - من الشباب والمراهقين - فى العودة إلى الإسلام والتعرف على دينهم بنية صادقة وعزم

أكيد، يدفعهم إليه طبيعة النمو فى هذه المرحلة وقد يكون رد فعل مؤقت لموجات البعد عن الدين التى عانى فيها المجتمع المصرى فى بعض الفترات، كما أنه قد يكون هروبًا من المشاكل التى يواجهها الطلاب فى المجتمع كالمشكلات المرتبطة بالتعليم والإسكان والعمل وغيرها.

أيضًا قد يكون التطرف كما يرى «محمد الأحمدى أبو النور» نتيجة الضغط الفكرى الذى ينشأ من التطرف فى فهم النصوص الدينية دون أساس علمى أو دينى أو عقلى، وكذلك نتيجة ضغط فكرى ينشأ من اعتقاد أن واجبًا على المرء أن يقتدى بالرسول الكريم «عليه الصلاة والسلام» فى كل ما يفعله حتى ولو كان خصوصية له.

وفى هذا الإطار يرجع بعض العلماء أسباب التطرف الدينى لدى بعض الشباب والمراهقين إلى الآتى:

١ - افتقاد الشباب للقيادة الصحيحة والكلمة الصائبة، مما اضطره إلى أن يقرأ بنفسه فى مجال الدين وهو غير قادر على التمييز بين الصحيح والزائف، ومن ثم التبست عليه الأمور فى أغلب الأحيان.

٢ - الانحلال الأخلاقى الذى استشرى بين قطاعات كبيرة من الشباب بسبب إهمال التربية الدينية فى البيت، والدور السلبى لوسائل الإعلام فى ترسيخ قيم غريبة عن المجتمع ومتناقضة مع معتقداته، وافتقاد القدوة الحسنة، وضغط الحياة الاقتصادية.

٣ - تضاؤل الاهتمام بالدين فى المدارس القومية، وغيابه النسبى فى المدارس الأجنبية.

٤ - ضآلة المساحات المخصصة للإعلام الدينى.

٥ - قلة علماء الدين الأكفاء الذين يبصِّرون الناس بالقيم الدينية الحقيقية مما نتج عنه وجود من يشغل الناس بالشكليات والقضايا الفرعية.

من خلال العرض السابق لبعض الآراء المفسرة لأسباب التطرف الدينى، نستخلص عدداً من المؤشرات على النحو التالى:

١ - تناول بالدراسة والبحث أسباب ظاهرة التطرف الدينى بعض الباحثين من شتى التخصصات « الدين - علم النفس - علم الاجتماع - التربية ... إلخ ».

٢ - العرض السابق هو عبارة عن وجهات نظر وآراء وتحليلات طرحت من قِبل بعض الباحثين ولكننى أرى أن تلك التحليلات إنما ينقصها الآتى:

أ - التدعيم الميدانى العملى، فهى لا تتعدى كونها محاولات نظرية فليس من بينها محاولة لدراسة علمية تتناول بحث واستقصاء أسباب وعوامل التطرف الدينى بطريقة علمية متبعة خطوات المنهج العلمى.

ب - التناول المتكامل لكافة أبعاد الظاهرة، فالتطرف الدينى هو نتاج مجمل الظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والتربوية والأسرية والسياسية والإعلامية، ... إلخ، فقد ركز الباحثون السابقون عند تناولهم للظاهرة على أبعاد معينة دون غيرها، فعلى سبيل المثال لا الحصر: هناك من ركز على الدور السلبى لوسائل الإعلام الذى يتمثل فى هدم ما يقوم به الدعاة من توعية دينية، واستفزاز مشاعر الشباب المتدين، وهناك من أشار لسوء الحالة الاقتصادية، الشعور بالاغتراب وفقد الانتماء، نقص التوعية الدينية، الخوف من فقد الهوية، عدم إشباع الحاجات الأساسية التغيرات الاجتماعية السريعة، ... إلخ.

٣ - معنى ذلك، عدم وجود محاولة علمية تتناول كافة أبعاد ظاهرة التطرف الدينى، وهذا فى الواقع كان دافعًا قويًا لى لإجراء دراسة علمية متكاملة حول الدوافع الكامنة وراء تطرف المراهقين والمراهقات فى المرحلة العمرية من (١٤-١٧) سنة فى المجتمع المصرى تطرفًا دينيًا، حصلت من خلالها على درجة الماجستير بتقدير «ممتاز» فى علم نفس الطفل بجامعة عين شمس، وقد أسفرت نتائج الدراسة عن العديد من الدوافع من وجهة نظر عينة الدراسة والتى بلغت (٨٠٠) مراهق ومراهقة على النحو التالى:

١ - الفهم الخاطئ لتعاليم الدين.

٢ - نقص التوعية الدينية السليمة.

٣ - التفكك الأسرى وعدم وجود الموجه والمتابع القريب من الشباب.

٤ - الحماس الدينى الذى لا يقوم على أساس منطقى.

٥ - ظهور عادات وتقاليد جديدة تتناقض مع الإسلام.

٦ - الاعتماد على مبادئ دينية يساء تفسيرها وفهمها.

٧ - الأمية الدينية التى ولدت فراغًا دينيًا رهيبًا لدى الشباب.

٨ - اهتزاز قيم ومبادئ وسلوكيات الشباب.

٩ - انصراف الشباب عن التعليم الدينى.

١٠- الخلل فى النظام التعليمى الذى حول عقول الشباب إلى مجرد ترديد نصوص المناهج التعليمية المختلفة.

١١- عدم توعية الشباب بالمشكلات قبل الوقوع فى الخطأ.

١٢- عدم وجود خلفية دينية لدى الشباب.

١٣- انشغال الوالدين بأعمالهما الخاصة وعدم تفرغهما للمتابعة والاستماع إلى أبنائهما.

١٤- البيئة التى نشأ فيها المراهق وعدم العناية به.

١٥- غياب الحوار بين الآباء والأبناء.

١٦- عدم اهتمام الأسرة بالناحية الدينية منذ الصغر.

١٧- عدم إعطاء حصة الدين وضعها الحقيقى.

١٨- الإهمال فى تدريس المواد الدينية.

١٩- اقتصار دور المدرسة على التدريس والامتحانات.

٢٠- تفكير المراهق فى المعتقدات الدينية التى كان يتقبلها بدون مناقشة أثناء مرحلة الطفولة.

٢١- تأثير جماعة الأقران حيث يقلد المراهق قرنائه فيما يظهرون من اهتمام بالدين.

٢٢- إحباط الحاجات الأساسية للمراهقين.

٢٣- عدم كفاية مناهج الدين الحالية فى المدارس.

٢٤- ما يدور فى الأسرة من خلافات وصراعات.

٢٥- اليقظة الدينية السريعة فى مرحلة المراهقة.

٢٦- عدم تأهيل بعض المدرسين تربويًا.

٢٧- شعور الشباب بالوحدة وعدم المساعدة من جانب القيادات المختلفة.

٢٨- شعور الشباب بالنقص وضعف الشخصية.

٢٩- تعصب المتطرفين دينيًا لفكرهم.

٣٠- غياب دور الإخصائى الاجتماعى فى المدارس.

٣١- هامشية الشباب وانعدام تحقيق الذات.

٣٢- غياب الفكر الدينى المتسامح الذى يمثله أزهرنا الشريف وعلماؤه الكبار.

٣٣- وجود الفراغ النفسى والروحى لدى الشباب.

٣٤- غياب القدوة الصالحة فى الأسرة والمدرسة والمجتمع.

٣٥- انغلاق الذهن والتشدد مع أصحاب المعتقدات المناهضة.

٣٦- عدم وجود رقابة داخل المدارس.

٣٧- غياب دور رجال الدين فى توعية الشباب وتصحيح المفاهيم الخاطئة.

٣٨- عدم العناية بخلق جسور ثقة وحوار بين الشباب وبين علماء الدين والمفكرين والمثقفين.

٣٩- إلغاء حصة الدين فى بعض المدارس.

٤٠- مدرس الدين ليس على درجة من الكفاءة للقيام بدوره فى حوار مع تلاميذه.

٤١- ضعف التربية والمناهج الدراسية.

٤٢- رفض معايير وتوجيهات الكبار.

٤٣- التنشئة الاجتماعية المتسلطة.

٤٤- فقد القدرة على التعبير وإبداء الرأى.

٤٥- الاغتراب النفسى والمعنوى لدى قطاع كبير من الشباب.

٤٦- الظروف الطارئة التى يمر بها المراهق «كموت أحد المقربين» تدفعه لتقوية اهتمامه بالأمور الدينية.

٤٧- غياب حوارات جادة ومنظمة بين الطلاب وأساتذتهم.

٤٨- الشعور بعدم الكفاءة وفقدان الشخصية.

٤٩- عدم وجود رقابة مشددة على كتب بعض الدعاة.

٥٠- الضغوط الاجتماعية على الفتاة الشرقية.

٥١- عدم العناية بخلق جسور ثقة وحوار بين الشباب وبين رجال السياسة والإعلام والأحزاب المختلفة.

٥٢- فشل المراهق فى تنمية هوية شخصية.

٥٣- عدم إتاحة الفرصة لمزاولة الهوايات والنشاط الرياضى.

٥٤- شعور الشباب بالقلق والتوتر النفسى.

٥٥- عدم قدرة الشباب على تفهم المعلومات التى يتحدثون عنها ويتجادلون فيها.

٥٦- عدم قيام الأسرة والمدرسة ومركز الشباب بدورهم.

٥٧- الانطواء على النفس.

٥٨- عجز الفرد عن استثمار إمكاناته وقدراته ومواهبه.

٥٩- عدم إجادة بعض خطباء المساجد الحديث بلغة سليمة.

٦٠- التغيرات الاجتماعية والفكرية التى يشهدها المجتمع المصرى.

٦١- الفجوة بين الإعلام المصرى «المقروء والمسموع والمرئى» وبين الشباب ومشاكلهم الحقيقية.

٦٢- زيادة عدد الطلاب داخل الفصل الدراسى الواحد.

٦٣- الأمية بمعناها الحرفى (أمية القراءة والكتابة).

٦٤- عدم الاهتمام بمراكز الشباب.

٦٥- الأمية الثقافية والتاريخية فالشباب لا يعرفون شيئًا عن تاريخ بلدهم.

٦٦- هجرة عدد كبير من أبناء الريف إلى المدن بحثًا عن العمل.

٦٧- التغيرات الجذرية التى تحدث فى النظم الاجتماعية والسياسية فى المجتمع.

٦٨- رفض الأنظمة الثقافية والعقلية السائدة.

٦٩- عدم قراءة الشباب لكل ما هو جديد فى الثقافة والفنون المختلفة.

٧٠- تركيز معظم اهتمام إعلامنا على ما يدور فى القاهرة الكبرى والإسكندرية فقط.

٧١- عدم مشاركة الشباب فى الأنشطة الرياضية والثقافية ... إلخ.

٧٢- عدم القدرة على تكوين صداقات جادة وعميقة بين الطلاب.

٧٣- عدم المساواة بين الجنسين.

وبسؤال عينة الدراسة عن أهم عشرة عبارات من وجهة نظرهم، كأسباب ودوافع قوية تؤدى للتطرف الدينى جاءت إجاباتهم على النحو التالى:

١ - الفهم الخاطئ لتعاليم الدين.

٢ - تعصب المتطرفين دينيًا لفكرهم.

٣ - التفكك الأسرى وعدم وجود الموجه والمتابع القريب من الشباب.

٤ - ظهور عادات وتقاليد جديدة تتناقض مع الإسلام.

٥ - عدم وجود رقابة مشددة على كتب بعض الدعاة.

٦ - الأمية الدينية التى ولدت فراغًا دينيًا رهيبًا لدى الشباب.

٧ - اهتزاز قيم ومبادئ وسلوكيات الشباب.

٨ - نقص التوعية الدينية السليمة.

٩ - انصراف الشباب عن التعليم الدينى.

١٠- الحماس الدينى الذى لا يقوم على أساس منطقى.

(٦) النظريات المفسرة للتطرف الدينى

يوجد العديد من المداخل لتفسير التطرف الدينى، وكما يشير «يوسف القرضاوى» فإن كل مدخل يركز على عامل بعينه، بينما إنه من الموضوعية أن نعطى اعتباراً لكل العوامل، فهناك مثلاً أصحاب المدرسة النفسية الذين يرجعون ظاهرة التطرف لأسباب نفسية خالصة، كثيراً ما تكمن فى العقل الباطن أو اللاشعور وبخاصة مدرسة التحليل النفسى وأبرز روادها «فرويد»، وهناك المدرسة الاجتماعية التى تحاول رد أسباب التطرف وعوامله إلى تناقضات المجتمع، ولعل أبرز ممثلى هذا الاتجاه هو عالم الاجتماع الفرنسى «إميل دوركيم»، إلى جانب ذلك يعترف أصحاب النظرة الشمولية بأن الأسباب متشابكة ومتداخلة وكلها تعمل بأقدار متفاوتة، وقد يقوى أثرها فى شخص ويضعف فى آخر، ولكنها جميعًا لها فى النهاية أثرها الذى لا يحمد.

وفى هذا الإطار سوف نتناول عرضًا مختصراً لبعض النظريات المفسرة للتطرف الدينى على النحو التالى:

أ - التفسيرات الاجتماعية للتطرف الدينى.

* النظرية البنائية الوظيفية.

ب- التفسيرات النفسية للتطرف الدينى.

١ - نظرية التعلم الاجتماعى.

٢ - الإحباط - العدوان.

٣ - التطرف السلوكى كأسلوب استجابة.

وفيما يلى توضيح لتلك الأبعاد السابقة.

(أ) التفسيرات الاجتماعية للتطرف الدينى

اهتم علم الاجتماع بدراسة ومعالجة قضايا الشباب فى صلتها بالمجتمع، واهتم بدراسة الظواهر المرتبطة بسلوكهم واتجاهاتهم المتطرفة والثورات الطلابية

والثقافات الانعزالية والتمرد والرفض، ودراسة قيمهم السلوكية ودرجة مشاركتهم الثقافية والسياسية، ودورهم فى عمليات التغيير والبناء والتنمية.

وذلك فى ضوء الواقع الاجتماعى والاقتصادى والسياسى للمجتمع وعلاقته وأثره على جميع هذه العوامل، على اعتبار أن الشخصية نسق تتساند فيه الدوافع والقدرات العقلية والجسمية «الفطرية والمكتسبة»، مع القيم والمعايير السائدة فى المجتمع وأساليب التنشئة التى تهيئ الأفراد لأداء الدور المتوقع منهم فى المجتمع.

وقد اتجهت بعض المعالجات فى هذا المجال إلى إرجاع العديد من الأنماط السلوكية التى يلجأ إليها الشباب كالتطرف، والرفض، والانعزالية، والاغتراب، ... إلخ، إلى أسباب تتعلق بالواقع الاجتماعى الذى يعيشونه.

هذا الواقع الاجتماعى قد تناوله بالتفسير العديد من النظريات الاجتماعية منها على سبيل المثال لا الحصر النظريات التالية:

١- النظرية البنائية الوظيفية.

٢- الهامشية الاجتماعية.

٣- نظريات الحرمان.

٤- نظرية المجتمع الجماهيرى.

٥- صراع الأجيال.

ولكن سوف نكتفى بعرض النظرية «البنائية الوظيفية» فقط وذلك لأن النظريات السابق ذكرها تخلط بين التطرف والإرهاب.

- **النظرية البنائية الوظيفية:**

تعتبر البنائية الوظيفية من أكثر اتجاهات الفكر الاجتماعى واقعية، حيث ترتبط بالتحليل المنهجى المنظم للوقائع الاجتماعية، والأوضاع القائمة والوظائف التى يؤديها النسق الاجتماعى على مختلف مستوياته، موضحة أن تصرفات الأفراد أو أفعالهم ليست عشوائية ولكنها ترتبط بالبيئة الاجتماعية.

وتمثل البنائية الوظيفية منظوراً تكامليًا ينظر إلى المجتمع كوحدة بنائية مرتبطة ومتساندة مع المجتمعات الأخرى، وإلى البناءات الجزئية كوحدات فرعية مرتبطة ومتساندة بدورها مع الأبنية الأخرى لتتسق جميعها فى الوظيفة الأصلية للبناء الاجتماعى Social Structure.

وكما يرى «هربرت ماركيوز» فهذه البناءات تؤدى وظائفها من خلال نسق علاقى بين المراكز الاجتماعية التى يؤديها الأعضاء وتحدد لهم أدوارا خاصة، وهكذا تسهم الوظيفية فى قضية فهم النظام العام للمجتمع وفى إمكانية التنبؤ بطبيعة العالم الاجتماعى، وتمثل مدخلاً أكثر تكاملاً يقوم على دراسة وتحليل البناء الاجتماعى ومكوناته، ومدى قدرته على إشباع حاجات الأفراد وتهيئة المناخ الملائم للنمو والتكيف والتوافق.

وهذا المدخل لدراسة السلوك كما يشير «ستون Stone» يوضح أن البناءات الاجتماعية توجد ضغوطًا واضحة يتعرض لها بعض الأفراد فى المجتمع، بسبب دوافع غير مشبعة مما يدفعهم إلى عدم التوافق، إذ إن عجز البناءات الاجتماعية عن تهيئة المجالات التى تشبع الاحتياجات الأساسية للأفراد يعرضها للإحساس بالضغوط ويولد لديها مشاعر الإحباط، ويؤثر فى أساليب استجابتها وخاصة إذا كان إحساسها بالحرمان لا يرجع لتقصير منها بل يرجع إلى ظروف ترتبط بإمكانيات البناء الاجتماعى والفرص التى يهيئها.

وهذا يوضح أهمية الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى المجتمع وتأثيرها على مشاعر الإحباط والتطرف، التى ترتبط بإحساس الفرد بمكانته الاجتماعية «His Social Status» وبالدور الذى يؤديه فى المجتمع ومدى التوافق بين هذا الدور وبين توقعاته للمكانة التى يؤهله لها.

وتقوم هذه النظرية على مسلمة أساسية وهى أن التوازن والاستقرار هما الأساس فى المجتمع وافتقادهما هو الاستثناء، وتنتج ظاهرة التطرف الدينى حسب مسلمة هذه النظرية من عدم التوازن أو الاختلال الوظيفى، فيشير «جونسون» فى هذا الإطار إلى أن الاختلال الوظيفى هذا يحدث عندما يعجز

أحد الأنظمة المكونة للمجتمع من أداء وظيفته التى تحفظ التوازن، فإذا لم يحدث إجراء إصلاحى فإن النظام الاجتماعى سوف يفقد توازنه ككل وتصبح الثورة هى طريق التغيير.

وتعقيبًا على ما سبق، يرى أصحاب الاتجاه الوظيفى أن التطرف الدينى إنما ينشأ بسبب فشل وتعثر النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية على مواجهة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية السائدة فى المجتمع وذلك لغياب المؤسسات والأبنية اللازمة للقيام بتلك المهمة أو نظراً لضعفها وهشاشتها.

ونخلص من خلال ما سبق، إلى أن ظاهرة التطرف الدينى هى وليدة التغيرات التى تراكمت فى مجتمع ما بحيث أصبحت قيمه ومعاييره ونظمه أى معظم أساليب الفكر والعمل فيه لا تشبع حاجات الأفراد ولا تتلائم مع المتغيرات التى يمر بها المجتمع مما يجعل أفراده يستشعرون القلق الاجتماعى الذى يدفعهم إلى القيام بسلوك جمعى تحكمه أيديولوچية أو مجموعة من المعتقدات الدينية يهدف إلى تغيير هذه الأنماط الاجتماعية «Social Patterns» القائمة.

(ب) التفسيرات النفسية للتطرف الدينى

(١) نظرية التعلم الاجتماعى

أشار الباحثون بناءً على الأساس النظرى لنظرية التعلم الاجتماعى إلى أن التطرف هو اتجاه يتم تعلمه واكتسابه بنفس الطريقة التى تكتسب بها سائر الاتجاهات النفسية والاجتماعية، حيث يتم تناقله بين الأشخاص كجزء من المحصلة الكبرى لمعايير الثقافة وأن عملية الاكتساب هذه تتم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية وقنواتها المختلفة والمتمثلة فى الوالدين والمدرسين والأقران فضلاً عما يمكن أن تسهم به وسائل التخاطب الجماهيرى فى هذا السياق، فهذه القنوات كلها تعد نماذج يمكن من خلالها تعلم أنماط السلوك.

وعند تناول النماذج الاجتماعية السابقة لتحديد أثرها على نشأة الاتجاهات المتطرفة يشير «باندورا Bandura» إلى أن الأسرة وخاصة الوالدان

يقومان بدور كبير فى تعليم أبنائهم الاتجاهات الدينية المتطرفة، حيث يوجد ارتباط متسق بين اتجاهات الآباء عمومًا ومثيلتها التى توجد لدى أبنائهم، فالأطفال يلاحظون اتجاهات وسلوك والديهم فى المواقف المختلفة ويلقطون العديد من تلك الاتجاهات والمظاهر السلوكية فى استجاباتهم نحو الأشخاص الآخرين.

ويؤكد على ما سبق دونالد كيندر، ديفيد سيرز «Donald Kinder and Daivd Sears» حيث يشيران إلى أن التطرف إنما يرجع اكتسابه إلى التعلم «الثقافى - الاجتماعى» فالأطفال والمراهقون يكتسبون الاتجاهات المتطرفة بالتوازى مع قيمهم واتجاهاتهم السوية من البيئة الاجتماعية وأن القوى الداخلية للاتجاهات المتعلمة مبكراً تفرز استمرار التطرف خلال حياة الإنسان فيما بعد.

نخلص مما سبق من خلال منحى التعلم الاجتماعى، أن استجابة الفرد المتطرفة هى كأى سلوك اجتماعى «Social behavior» آخر له أسسه العميقة فى سنوات التنشئة حيث يتم تكوين هذا الاتجاه من خلال قنوات التنشئة الاجتماعية، حيث تلعب السلطة الوالدية، سلطة المدرس، جماعة الأقران، وسائل الإعلام «إذاعة - تليفزيون - صحف - مجلات - كتب»، دوراً كبيراً فى عملية التطبيع الاجتماعى للفرد واكتسابه اتجاهاته عامة واتجاهاته المتطرفة بصفة خاصة.

(٢) الإحباط - العدوان:

مشاعر الإحباط التى تهيمن على شعور الغالبية من شبابنا إنما مرجعه الأول إلى عدم إشباع لحاجاتهم النفسية وهذا الشعور بالإحباط يولد فكراً متطرفًا يتجه بكل قوته ضد مسبب هذا الإحباط، وغنى عن البيان أن السبب الرئيسى لهذا الإحباط المولد للتطرف من وجهة نظر الشباب هو المجتمع ممثلاً فى قياداته وأنظمته والتى يعتبرها الشباب مسئولة مسئولية كاملة عن عدم إشباع حاجاتهم.

وفى هذا الإطار نرى أن هذا الإحباط مرتبط بإحباطات أخرى فرضتها الأوضاع الاجتماعية مما أدى إلى زيادة معدلات الإحباط بين مجموعات الشباب الذى غاب عنها الأمل فى مستقبل مهنى وأسرى، فالإحباط والشعور بالقلق ناتج عن عدم الشعور بالاستقرار والأمان، هذا ساعد على استقطاب العديد من هؤلاء الشباب لاعتناق الفكر الدينى المتطرف وتحويل الإحباط من كونه ذاتيًا إلى كونه اجتماعيًا يأخذ شكل الرفض الاجتماعى، فاعتناق الشباب والمراهقين لهذا الفكر الدينى المتطرف إنما هو بديل لما يعانيه هؤلاء الشباب من الإحباط والحرمان النفسى.

وعن العلاقة بين الإحباط والتطرف نشير إلى أن أهم العوامل التى تجعل الناس مستهدفة للانجذاب إلى التطرف هو السخط العام بين الجماهير على الظروف المحيطة ولهذا دائمًا ما يرتبط ظهور التطرف وشيوعه فى مجتمع ما بشعور الأفراد بأن معاييرهم وقيمهم الحضارية التى اعتادوا عليها لم تعد كافية لمنح ما يرضيهم.

وقد تعددت الأبحاث التى قامت لاختبار فرض الإحباط - التطرف باختلاف صور التطرف: «دينيًا - سياسيًا - اجتماعيًا»، ففى مجال التطرف الدينى أشار «جلوك» إلى أن هناك عدة أنواع من الإحباطات التى تؤدى إلى التطرف الدينى حيث أشار إلى أن هذه الإحباطات قد تكون: اقتصادية، عضوية، أخلاقية، فيزيقية، وانتهى إلى أن الحرمانات الفيزيقية هى أكثر أنواع الحرمان التى تؤدى إلى تكوين الفرق الدينية وأن رد الفعل الدينى هذا للإحباط يظهر عندما تكون أسباب الإحباط يصعب ضبطها أو التحكم فيها، ولهذا يرى «جلوك» أن الأنشطة الدينية هذه هى تعويض عن الشعور بالحرمان والإحباط أكثر من كونها فعلا لمحو أسبابه.

(٢) التطرف السلوكى كأسلوب استجابة:

تناول السلوكيون التطرف باعتباره خاصية لنمط سلوكى يتسم بعدم التدرج والاندفاعية فى القبول أو الرفض وبالتالى عدم النضج أو التكامل

الاجتماعى، وأن التطرف يمكن أن يكون فى اتجاه التشدد أو التمسك المتصلب بمعايير معينة من السلوك، أو فى اتجاه التخلل والتحرر المفرط فى تلك المعايير والقواعد السلوكية فالتحرر الزائد أو الليونة المفرطة يمكن أن يكون عرضًا من أعراض ضعف الأنا وعدم مقاومتها للمغريـــات التى تجنح إلى الانحراف وسوء التوافق.

ويشير العلماء إلى ثمة مكونات نفسية مهمة تكتنف الاستجابات المتطرفة أو تمثل عوامل مهيئة لحدوثها وتتمثل هذه المكونات فيما يلى:

١ - التصلب:

ويشير مفهوم التصلب بوجه عام إلى العجز النسبى عن تغيير المرء لتصرفاته واتجاهاته عند ما تتطلب الظروف الموضوعية ذلك، ويصدر السلوك المتصلب كاستجابة لموقف قد يكون مهدداً لطمأنينة الشخص أو مقيداً لتلقائيته واستقلاليته كما يمكن أن يصدر كعادة ثابتة من عاداته تكمن وراء سمة مزاجية مستقرة، فالمتطرفون إيجابيًا فى اتجاهاتهم الدينية أى المتشددون إنما يتميزون بالتصلب، كما أن المتطرف إنما يتميز بالجمود وعدم المرونة فى التعامل مع الآخر وهو لا يعترف بخطئه ولا يقيم حواراً مع الآخر ولا يميل إلى الاطلاع على فكره.

٢ - الإحساس بالهامشية:

يشير السلوكيون إلى أن الإحساس بالهامشية وما يستتبعه من شعور بعدم الطمأنينة هو أساس لتطرف الاستجابة، وتعرف الهامشية على أنها نمط من الحياة على هامش الجماعة التى ينتمى إليها الفرد وعدم قبوله بشكل عام كعضو فيها.

والهامشية كما يشير السلوكيون تفضى إلى حالة من فقدان الإحساس بالطمأنينة وعدم الأمان وزيادة التوتر، وبالتالى النفور من هذه الحالة أو الموقف الذى يتسم بالغموض وعدم الوضوح حول مكانة المرء بشكل يفضى فى النهاية

إلى إصدار استجابة سلوكية متطرفة فى اتجاه الرفض المتشدد لهذا الواقع أو اللامبالاة والتحلل من أية متطلبات أو التزامات حيال هوية المرء أو تصوره لذاته.

٣ - عدم تحمل الغموض:

يقصد بالنفور من الغموض الميل لإدراك أو تفسير المواقف الغامضة باعتبارها مصادر للتهديد، أما تحمل الغموض فيعنى الميل لإدراك المواقف الغامضة على أنها جذابة.

ويمكن تعريف الموقف الغامض على أنه ذلك الموقف الذى لا يستطع الفرد أن يصنفه فى فئة محددة بسبب عدم وجود دلالات كافية على ذلك، فالمواقف الغامضة هى مواقف تتميز بالحداثة والتعقيد وعدم القابلية للحل.

ويشير «بودنر» إلى أن الاستجابة للإحساس بالتهديد وعدم الطمأنينة التى يعيشها الأفراد تنقسم إلى قسمين هما: الخضوع والرفض، ويعنى الخضوع إدراك الموقف كحقيقة وجودية غير قابلة للتوضيح ولا يستطيع الفرد أن يغيرها، أما الرفض فيعنى أداء فعل ما يتغير به الواقع الموضوعى على الأقل فى عالم الفرد الفينومينولوجى لكى يلائم رغبات المدرك.

(٧) موقف الدين الإسلامى من التطرف الدينى

التطرف والغلو والتشدد وتجاوز حد الاعتدال، كلها ظواهر ليس لها أصل أو جذور فى الإسلام، فالإسلام دين محبة وحوار وجدال بالتى هى أحسن، فيقول «الله سبحانه وتعالى»: ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[النحل: ١٢٥]، وقد حذر «الرسول الكريم ﷺ» من التطرف أو الغلو لما يترتب عليه من عواقب وخيمة فيقول الرسول الكريم :«إياكم والغلو فى الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين»[النسائى وابن ماجه].

وأول عمل قام به الرسول الكريم ﷺ كان المؤاخاة بين مهاجر ومهاجر وبين مهاجر ويثربى، ثم إقامة صلح مع اليهود، ثم بنى دولة على ركائز قوية ودعائم ثابتة وأراد المسلمون أن يأخذوا من كتاب الله فحثهم على التعلم والتعليم وأمرهم أن يأخذوا العلم ولو فى الصين، وفى مجال العدل قال لهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[النحل: ٩٠]، وفى مجال المساواة قال: «لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم»[مسند أحمد]، أما فى مجال الوحدة قال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات: ١٠]، و«تآخوا أخوين أخوين»[فتح البارى لابن حجر].

فالإسلام قد نهى عن الغلو والتطرف، فيقول الله عز وجل: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾[المائدة: ٧٧]. و ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ﴾ [النساء:١٧١]، وقد نبه الشيخ «محمد الغزالى» إلى أن التطرف يسيئ إلى الإسلام وييسر الطريق أمام الذين يفترون عليه.

فالدين الإسلامى دين يسر لأنه دين الوسطية والتى تعنى الاعتدال ورفض التطرف فى سائر الأمور هكذا أراد الله لدينه وأراد للأمة التى تدينت بهذا الدين.

قال تعالى ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[البقرة : ١٨٥].

وقال تعالى :﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣].

ووسطية هذه الأمة الإسلامية إنما هى مستمدة من وسطية منهجها ونظامها ، فهو منهج الاعتدال والتوازن الذى سلم من الإفراط والتفريط، أو من الغلو والتقصير ومن ثم كان من حكمة الله تعالى أن اختار الوسط شعاراً مميزاً لهذه الأمة التى هى آخر الأمم، ولهذه الرسالة التى ختم بها الرسالات الإلهية وبعث بها خاتم أنبيائه رسولاً للناس جميعًا رحمة للعالمين.

وفى ضوء ذلك يشير «فهمى هويدى» قائلاً: «إن للإسلام أسلوبًا فى الدعوة واضحًا ، ولا يحتمل اللبس، يقوم على الحكمة والموعظة الحسنة بنص القرآن الكريم، ودعاة العنف هؤلاء إما أنهم جاهلون بأصول الدعوة ومنهجها ويفرضون أنفسهم على الإسلام زوراً وبهتانًا ، أو أنهم عارفون ومتجاهلون أو عارفون ومنتحلون، وهؤلاء وهؤلاء يخربون المسيرة الإسلامية ذاتها بأكثر من تخريبهم لأى شىء آخر.

وكما يؤكد الباحثون والمتخصصون فالفكر التربوى الإسلامى قد حرر الفكر الإنسانى من الجمود وسما به عن الارتكان فى حمأة التقليد ، ولم يسمح له بالانطلاق وراء الوهم والخيال بل رسم له الحدود ووضع بين يديه المعالم على الطريق، لذلك دعا الناس إلى التأمل فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله فى هذه الدنيا من عجائب وأودع بين جنباتها من غرائب وأسرار ، دعاهم إلى هذا التأمل لكى يصل بالعقلاء منهم إلى نتيجة لا شك فيها ، وهنا يقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) ﴾[الغاشية : ١٧ - ٢١].

وقد ذكر «الله» لنا فى قصة «إبراهيم عليه السلام» نماذج حية ترينا كيف يكون التفكير السليم وكيف يتدرج المؤمن فى إقناع الكافر بالوسائل

المحسوسة والأدلة الملموسة، ويذكرنا الله بقصة إبراهيم عليه السلام مع عبدة الكواكب حينما يتدرج بهم ليقنعهم أن عباداتها باطلة حيث يقول سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [**الأنعام** : ٧٥ - ٧٩].

وكذلك نجد «الله سبحانه وتعالى» وهو يبغض ويحذر من الجمود والتقليد، يوضح لنا فى أسلوب منطقى يجابه به هؤلاء المشركين الذين جمدوا على عباداتهم الباطلة وعاداتهم الجاهلية وتقاليدهم الموروثة فيفضح بالمنطق الإسلامى السليم جهلهم ويسخر من عقولهم المريضة، وقلوبهم العمياء.

ومن الأمثلة الرائعة على سمو الفكر وانطلاقه من سجن الجمود عملاً بمبادئ الإسلام واتباعًا لتوجيهاته السديدة فى احترام الرأى الصائب مهما كان صاحبه، موقف أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» من المرأة التى أرشدته إلى خطأ وقع فيه وكيف أنه لم يستبد به الغرور أو يبطره الجاه والسلطان أمام امرأة جابهته بكلمة الحق، بل إنه استضاء بنور العقل والبصيرة وشكر للمرأة صنيعها وحسن توجيهها.

فقد روى أن «عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» وقف يخطب فى النهى عن المغالاة فى المهور ليضع لها حداً أعلى ويقول: لا تزيد مهور النساء على أربعين أوقية فمن زاد، ألقيت الزيادة فى بيت المال، فقالت امرأة من النساء، وقالت وهى تصيح: ما ذلك لك يا عمر، قال عمر: ولم؟ قالت: لأن الله يقول: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[النساء:٢٠]، فأشرق وجه «عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» بالسرور وقال فى تواضع المؤمن: أصابت امرأة وأخطأ عمر، فيا له من سمو فى

الفكر أبعد صاحبه عن الجمود أمام رأيه حينما وضع خطأ، فارتد عنه واتجه إلى شريعة الحق والصواب.

وفى ضوء هذا المنهج المعتدل المتسامح نشير إلى أن القرآن الكريم يوجه الفكر الإنسانى ليعصمه من أمواج الفتن وليبعده عن هاوية التقليد والجمود والتعصب والتطرف، ويسمو به إلى المستوى الكريم الذى يريده الحق من الباطل وفى هذا الطريق سار نبى الإسلام «سيدنا محمد ﷺ» وأصحابه الراشدون فكان «رسول الله ﷺ» عطوفًا متسامحًا عادلاً تتسم أفعاله بالرحمة حتى مع أصحاب المعتقدات المناهضة والديانات الأخرى، فما بالنا إذاً بكيفية التعامل مع المسلمين، فكان «رسول الله ﷺ» يحترم الرأى الرشيد وينفذه وكان ﷺ يرخص لمن بعده من أصحابه أن يجتهد برأيه فى المسائل التى لا يجد فيها نصًا فى الكتاب أو السنة معلنًا أن من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر.

وتعقيبًا على ما سبق، فالإسلام نهى عن الغلو والتشدد فى الدين فكان «الرسول ﷺ» يدعو إلى التيسير على الناس والرفق بهم، و«الله سبحانه وتعالى» لا يكلف نفسًا إلا وسعها، إذ قد يضيق البعض على الناس فيحرمون ما أحل الله ويخرجون عن مبدأ الإسلام الحق الذى هو نهج وسط يتجلى فيه التوازن والاعتدال، بعيداً عن طرفى الغلو والتفريط وهذا المبدأ وضعه «الله سبحانه وتعالى» لأمته بقوله فى كتابه الكريم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة: ١٤٣].

ولقد روى «ابن عباس رضى الله عنهما» عن «النبى ﷺ» قال: «إياكم والغلو فى الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين»[رواه أحمد]، وما نهى «الرسول ﷺ» عن هذا الفعل إلا لأنه يدفع إلى التشديد فى الأمور الصغيرة، ولذلك نجده يحذر أتباعه من كثرة الأسئلة التى تنتهى بهم إلى هذه المرحلة وذلك حين قال: إن أعظم المسلمين جرمًا: رجل سأل عن شىء لم يحرم فحرم من أجل مسألته، وقال ﷺ: «إذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم» [رواه البخارى وأحمد].

وما خُير «رسول الله» بين أمرين إلا واختار أيسرهما فيروى عنه ﷺ أنه قال: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»[البخارى والنسائى]، وعن ابن ثعلبة الخشنى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودًا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها».
[السنن الكبرى للبيهقى]

والإسلام كما هو معروف صفته الأولى سعة الصدر مع الخصوم، يقول «الله تعالى» فى سورة التوبة: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة : ٦]، والإسلام دين اقتناع وإقناع، لا دين إكراه وقوة وشعاره: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة: ١١١]. والمسلم إنسان متوازن معتدل فى فعله ومعتقده وليس عنيفًا ولا معسراً على نفسه ولا على الآخرين.

وفى ضوء الإطار السابق، فالتطرف بأى صورة من صوره لا يوافق عليه أى إنسان يستخدم عقله وفكره، وذلك لضرره على المتطرف ذاته وعلى غيره ومجتمعه ومن هنا جاء العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تنكر التطرف، ومن أهمها الآتى:

(١) نهى الإسلام عن الإلحاد ودعا إلى الإيمان فى أكثر من نص فى القرآن والسنة، وساق عليه كثيراً من الأدلة الكونية، ونهى عن المغالاة فى الاعتقاد وتصور الذات الإلهية على مثال المخلوقات، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص: ١:٤]. وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

(٢) نهى عن التقليد الأعمى للآباء والأجداد والسادة والكبراء، ودعا إلى استقلال الفكر والشخصية فكل نفس بما كسبت رهينة، ولا تزر وازرة وزر أخرى، ولا تكسب كل نفس إلا ما عليها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]، كما طالب القرآن الكريم بالدليل والبرهان، فقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة : ١١١].

(٣) نهى عن التطرف فى الاستدلال بالاعتماد على الظنون وقال سبحانه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨]، كما نهى عن التعجيز كقوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٣].

(٤) نهى عن تحكم الهوى فى الاستدلال بالنصوص، أو فى اختيار الأدلة والأقوال المرجوحة وإيثارها على القوية الراجحة، بالأولى النهى عن اختلاف الأدلة ونسبتها كذبًا إلى مصدر التشريع، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾[القصص: ٥٠]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾[يونس: ٦٩]، وفى الحديث الشريف: «من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[رواه البخارى ومسلم]، ولذلك تورع كثير من الأئمة وكبار السلف عن الجرأة على تفسير القرآن بغير علم، وقد سُئل «أبو بكر الصديق رضي الله عنه» عن تفسير حرف من القرآن فقال: أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى وأين أذهب وكيف أصنع إذا قلت فى حرف من حروف الله بغير ما أراد تبارك وتعالى.

(٥) نهى عن التطرف فى الحكم والتعصب للرأى الاجتهادى منعًا للفتنة وسداً لباب النزاع والفرقة قال تعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، و«النبى ﷺ» كان أكثر الناس مشاورة لأصحابه فيما لم ينزل فيه وحى، وإذا رأى الصواب عند أحد منهم أخذ به، فقد عدل عن رأيه فى الموقع الذى نزل فيه فى غزوة بدر وأخذ برأى «الحباب بن المنذر» عن رأيه فى إعطاء الأحزاب ثلث تمر المدينة ليرجعوا عنها حقنًا للدماء، وصوب «النبى ﷺ» رأى كل من «أبى بكر وعمر رضى الله عنهما» فى صلاة الوتر قبل النوم أو بعده.

(٦) وكما نهى الإسلام عن التطرف فى الرأى والعقيدة نهى عن الانحراف فى السلوك، بالتسيب والإهمال الكلى والجزئى، قد أمر بطاعة الله ورسوله ونهى عن معصيتهما، والآيات والأحاديث أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر، يكفى منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

(٧) ونهى عن التطرف فى السلوك بالمغالاة، داعيًا إلى القصد والاعتدال والنصوص فى ذلك كثيرة يكفى منها قوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦]. وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، وقول «النبى ﷺ» لمن عزموا على الصيام أبداً وعلى قيام الليل أبداً، وعلى عدم التزوج: «أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى» [رواه البخارى ومسلم].

إلى غير ذلك من النصوص التى كان ﷺ يصحح بها مفهوم الناس عن التدين، داعيًا إلى اليسر ناهيًا عن العسر كما وجهه ربه عند قيام الليل ألا يشق على نفسه وعلى من يصلون معه حتى لا تخور قواهم فيعجزوا

عن أداء الواجبات الأخرى فى تحصيل العيش والجهاد فى سبيل الله، فقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

وفى ضوء العرض المختصر السابق لموقف الإسلام من التطرف الدينى نستخلص عدداً من المؤشرات على النحو التالى:

(١) الإسلام دين يسر ووسطية واعتدال.

(٢) الإسلام دين نهى عن التطرف فى الرأى والعقيدة والتدين.

(٣) الإسلام دين نهى عن الإلحاد والمغالاة فى الاعتقاد والسلوك.

(٤) الإسلام دين يدعو لنبذ التقليد والتعصب الأعمى.

(٥) الإسلام دين يدعو إلى التحرر من الجمود والدوجماتية.

(٦) الإسلام دين يحترم الديانات الأخرى والمعتقدات المناهضة.

الفصـل الثانى

المـراهقـــون

مقدمـــة

المراهقة فترة مهمة فى حياة كثير من الأفراد ، تعصف بهم فيها تيارات فكرية متضاربة يتعرضون فيها لنوازع وخواطر متباينة يحارون بينها ، ولا يدرون أيها يتبعون ويسايرون وأيها يغفلون ويتجاهلون، وهى مرحلة ذات أهمية وتتطلب منا الدراسة العميقة والفهم الصحيح، لهذا تقع على عاتق جيمع المؤسسات الاجتماعية (الأسرة - المدرسة - وسائل الإعلام - الأندية - ...إلخ) تبعات الوفاء بمطالب أطوار المراهقة والبلوغ وإشباع حاجات المراهقين وتوجيههم وتزويدهم برصيد عريض من الثقافة العامة والقيم الخلقية والاجتماعية والاتجاهات والمهارات التى تمكنهم فى نهاية المرحلة من أن يشقوا طريقهم فى الحياة العملية ويواجهوا مشكلاتها بنجاح.

فالمراهق يحاول بوسائله الخاصة التى لا يعرف غيرها أن يثبت وجوده كإنسان فهو يحاول بلوغ مرحلة النضح، ولكن هذا الهدف غالبًا ما يكون غامضًا بالنسبة له، وكثيراً ما يفتقد من يوضحه له أو يرشده، وتعتبر هذه المرحلة (المراهقة) من أهم المراحل فى التربية الدينية، ومما يضاعف أهميتها أن مشاعر المراهق وانفعالاته تكون عادة من النوع العميق الذى قد يصل إلى حد التعصب مما يجعل للشباب قوة كبيرة فى الجماعات الدينية؛ إذ يكون حماسهم قويًا وطاقاتهم النفسية متدفقة فى الاتجاه الذى ترتضيه الجماعة.

من هذا الإطار اهتم العلماء فى شتى التخصصات بدراسة مرحلة المراهقة كمرحلة مهمة وحاسمة من مراحل نمو الفرد بوصفها مرحلة تتسم بالأزمات النفسية والقلق والمعاناة وصعوبة التوافق، حيث إن سلوك المراهق يختلف عن سلوك وتفكير الطفل وكذا عن أسلوب تفكير الشاب فى مرحلة الرشد، فهى مرحلة تمتاز بالنمو السريع الذى يشمل جميع الجوانب والنواحى الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية، وقد اختلف المربون فيما بينهم حول وصف

المراهقة فبينما يصفها البعض بأنها مرحلة صعبة يتعرض فيها الشاب لكثير من المشكلات والهموم، يرى البعض الآخر أنها فترة تكيف وليست فترة تغير فجائى، فهى تتسم بالانفعال التدريجى إلا أن التغيرات السيكولوچية التى تنجم من الضغوط الثقافية والاجتماعية هى التى تؤدى إلى حدوث مشكلات صعبة فى التكيف.

وتعقيبًا على ما سبق، فالمراهق يتعرض لتيارات حادة تؤدى به إلى نضج شخصيته أو العكس، وقد يصبح شخصية متناقضة أو عدوانية أو انطوائية، ويتوقف ذلك على الظروف المحيطة به فسلوك المراهق هو نتاج لتفاعل مجموع القوى العضوية والوجدانية والعقلية مع مؤثرات البيئة الاجتماعية والثقافية التى يعيش فيها ، ومن ثم فهو يحتاج لمزيد من الاهتمام التربوى الذى يتفهم طبيعته وخصائصه ويعمل على توجيهها إلى ما يحقق اتساقها ، أيضًا يكسبه نسقًا من القيم ويعمل على نضجه وجدانيًا وعقليًا واجتماعيًا ، فعلى سبيل المثال: يسمح للمراهق أن يشبع ميله إلى الاستقلال والنقد والشك وتحمل المسئولية والمشاركة من خلال تنمية تفكيره وتعويده على التخلى عن الأحكام المسبقة وتدريبه على رؤية الواقع ونقده ونقد نفسه والآخرين بموضوعية وعلى أسس عقلية.

ومن خلال هذا الفصل سوف نتناول بالعرض والتحليل عدة أبعاد على النحو التالى:

١ - تعريف المراهقة.

٢ - المراهقة والبلوغ.

٣ - النظريات المفسرة لمرحلة المراهقة.

٤ - خصائص وسمات مرحلة المراهقة.

٥ - مظاهر النمو فى مرحلة المراهقة.

٦ - مطالــب وحاجــات المراهقـــين.

٧ - ميـــــول المراهقـــــين.

٨ - مشكـــــلات المراهقـــــين.

٩ - الجماعات المؤثرة فى المراهقـــين.

١٠- المراهقون والعلاقات العائليـــة.

١١- المراهقون والسلطـة الوالديـــة.

١٢- المراهقون والصـــراع القيمـــى.

١٣- المراهقــــون والديـــــن.

١٤- المراهقـون والتطـرف الديـــنى.

(١) تعريف المراهقة Adolesence

يختلف علماء النفس فى تحديد مرحلة المراهقة، فبعضهم يتجه إلى التوسع فى تحديدها، فيرون أن فترة المراهقة يمكن أن يضم إليها الفترة التى تسبق البلوغ وهم بذلك يعتبرونها بين العاشرة والحادية والعشرين بينما يحصرها بعض العلماء فى الفترة ما بين الثالثة عشرة والتاسعة عشرة (١٣-١٩) سنة.

وعلى الجانب الآخر، يؤكد بعض الباحثين على تعدد التعريفات الخاصة بتلك المرحلة والاتفاق فيما بينها على تحديد المرحلة سنيًا حيث قسمت المرحلة إلى ثلاث مراحل فرعية: مراهقة مبكرة (١٢ - ١٤) سنة، مراهقة متوسطة (١٥ - ١٧) سنة، ومراهقة متأخرة من (١٨ - ٢١) سنة، كما اتفقت أيضًا فى أنها - مرحلة المراهقة - تبدأ بالبلوغ الجنسى حتى الوصول إلى النضج فهى مرحلة نمو جسمى وعقلى سريعين مما ينتج عنه اضطرابات انفعالية وبعض المشكلات المعقدة من أعنف ما يواجه الإنسان فى مراحل تطوره، فالجسد يعود مرة أخرى ليقحم نفسه على الوجود من خلال نموه المفاجئ فى الحجم والشكل.

•• وفيما يلى عرض لبعض تعريفات مرحلة المراهقة:

- يرى «هل Hall» وهو أحد مؤسسى علم نفس النمو، أن المراهقة فترة النضج الجسمى وعدم النضج الاجتماعى بسبب تعقيد النظام الاجتماعى الحالى، فالطفل يبلغ سن الرشد الطبيعى قبل أن يكون مؤهلاً ليؤدى دوره الاجتماعى جيداً وتصبح المراهقة فترة - حرجة جداً - ضغوط بسبب نمو القدرات الطبيعية الجديدة وكذلك الضغوط الاجتماعية الجديدة.

- بينما تعرف «ديانا وندكوز Diane and wendkos» المراهقة بأنها مرحلة العواصف والضغوط وتشير إلى أن بدايتها ونهايتها تختلف باختلاف المجتمعات واختلاف النوع وتشير إلى أنها فى المجتمعات

الغربية تبدأ من الثانية عشرة وتنتهى مع بداية العشرين، كما يمكن أن تبدأ لدى الإناث من الحادية أو الثالثة عشرة بينما تبدأ لدى الذكور من الثالثة عشرة حتى الخامسة عشرة.

- كما يعرف «فيليب ريس Philip Rice» المراهقة بأنها فترة فى نمو الكائن الإنسانى تبدأ بشعور الفرد بالبلوغ وتنتهى باكتمال النضج.

- بينما يرى «روم وروجر Rom and Roger» أن المراهقة مرحلة تطور فى حياة الإنسان تبدأ بالبلوغ وتبلغ ذروتها عند الوصول إلى مرحلة الرشد ولا يمكن إعطاء حدود قاطعة لمدة المرحلة إلا أننا نستطيع أن نعطى تقديراً عامًا حيث تغطى هذه المرحلة مدة عمرية من سن (١٢ - ١٩) سنة.

- أما «كاثى وإنجريد Kathy and Ingrid» يعرفان المراهقة بأنها مرحلة تحول من الطفولة المتأخرة إلى مرحلة الرشد، وتبدأ من سن العاشرة إلى الثانية عشرة ونهايتها من الثالثة عشر إلى الثانية والعشرين.

- بينما يعرف «جابر عبد الحميد وعلاء الدين كفافى» المراهقة بأنها فترة التحول من الطفولة بما تتميز به من اعتمادية وعدم نضج إلى درجة نضج أكبر وإلى الاستقلالية فى الرشد وتبدأ مرحلة المراهقة بالبلوغ الجنسى، وبالنسبة للبنين تتراوح هذه الفترة بين العام الثالث عشر والعام الثانى والعشرين تقريبًا، أما بالنسبة للبنات فهى تتراوح بين العام الثانى عشر والعام الواحد والعشرين تقريبًا، وفى خلال هذه الفترة تحدث تغييرات كبيرة وأحيانًا تكون مسببة للاضطراب بدرجات متفاوتة فى الخصائص الجنسية وصورة الجسم والاهتمام الجنسى والأدوار الاجتماعية والنمو العقلى ومفهوم الذات.

- أما المراهقة عند «كمال دسوقى» والتى تناولها من عدة زوايا فهى فترة فى النمو الإنسانى التى بين بداية البلوغ والوصول للرشد والأعمار التقريبية لهذه الفترة هى (١٢ - ٢١) سنة للبنات، إذ ينضجن أسبق من

الأولاد، (١٣ - ٢٢) سنة للذكور حيث نلاحظ تعقد الضغوط الاجتماعية لتعقيد المدنية أثنائها والرغبة فى التجرد من الروابط الأسرية والعثور على مركز فى الحياة المهنية للجماعة وتحقيق توافقات الجنس، مما يجعل علماء النفس الاجتماعيين يعتبرون المراهقة نتاجًا للضغوط فى المجتمع لا مجرد فترة فريدة من الشدة والتوتر البيولوچيين وهى كمرحلة انتقالية بين البلوغ والرشد يصير أثناءها الشاب أو الفتاة راشداً رجلاً أو امرأة.

- بينما يعرف «سامى عوض» المراهقة بأنها فترة فى حياة كل فرد تبدأ بنهاية الطفولة وتنتهى بابتداء مرحلة النضج أو الرشد، وهى إما أن تكون فترة طويلة الأمد أو قصيرة الأمد، كما أن طولها يختلف من أسرة إلى أخرى، ومن مستوى اقتصادى اجتماعى إلى مستوى آخر ومن حضارة إلى أخرى بل إن طولها قد يتذبذب فى المجتمع الواحد من وقت لآخر.
- بينما يعرفها «محمد حسن» بأنها فترة انتقال ما بين الطفولة والشباب وتتميز بالعديد من التغيرات الفسيولوچية والنفسية التى تؤثر بصورة بالغة على حياة الفرد فى المراحل التالية من عمره.
- أما «ميخائيل أسعد» يرى أن كلمة المراهقة تستخدم للدلالة على المرحلة التى يتم فيها تحويل الناشئ من الطفولة إلى الرشد، وأن تلك المرحلة لا ترتبط بفترة زمنية محددة البداية والنهاية بدقة، إلا أن بدايتها تنطلق من أول ظهور رموز البلوغ، وتستمر معها وتنتهى باكتمال نضج الفرد وبلوغ قامته أقصى طولها وذكائه أعلى درجاته وتشمل تلك الفترة الزمن الممتد بين الثانية عشرة والحادية والعشرين.
- بينما يشير «جابر كامل» إلى المراهقة بأنها مرحلة حرجة فى حياة الفرد ومليئة بالصراعات والضغوط الاجتماعية إلا أن بعض الدراسات قد أثبتت أن المراهقة مرحلة نمو عادى، وأن المراهق لا يتعرض لأزمة من

أزمات النمو ما دام هذا النمو يسير فى مجراه الطبيعى أى أن هؤلاء يرون أن المراهقة مرحلة البحث عن الذات وتحقيقها ، ومرحلة الحب، ومرحلة نمو الشخصية وصقلها ومرحلة اكتشاف القيم والمثل.

- أما «محمود شوقى» يعرف المراهقة بأنها فترة عصيبة تمتد على وجه التقريب من الثانية عشرة إلى الثامنة عشرة (١٢ - ١٨) سنة ويواجه المراهق فيها تغيرات جوهرية ثلاثة وهى: (١) مواجهة التغيرات الجسمية والاضطراب الانفعالى الناتج عن النضج البدنى والجنسى، (٢) مواجهة الوضع المائل بين الطفولة والرشد، (٣) مواجهة اتجاهات الكبار نحوه والتناقض فى معاملتهم له خاصة الآباء.
- كذلك تعرف «كاميليا عبد الفتاح» المراهقة بأنها مرحلة انتقال من الطفولة إلى الرشد وتتضمن تغيرات جسمية ومعرفية واجتماعية وهى تبدأ فى حوالى سن (١٠ - ١٣) سنة وتنتهى فى حوالى سن (١٨ - ٢٢) سنة.

** وإذا ما انتقلنا من تعريف المراهقة إلى تقسيم هذه المرحلة إلى مراحل فرعية، نجد أن علماء النفس قد اتفقوا تقريبًا على تقسيم تلك المرحلة بهدف التمكن من دراستها بصورة أفضل إلى عدة مراحل، يؤثر كل منها فى بعضه البعض أى أنها فترة متصلة، وسنعرض بعضًا من هذه التقسيمات والتى فى ضوئها نلاحظ استمرار الاختلاف بين الباحثين حول تقسيم تلك المرحلة.

ترى «كول Cole» تقسيم المراهقة إلى ثلاث مراحل تمتد من (١٥-٢٠) سنة وهى:

(١) المرحلة المبكرة : من (١٥ - ١٦) سنة.

(٢) المرحلة المتوسطة : من (١٧ - ١٨) سنة.

(٣) المرحلة المتأخرة : من (١٩ - ٢٠) سنة.

فى حين يتفق «مصطفى فهمى مع هيرلوك Hurlok» على أنه يمكن تقسيم فترة المراهقة حسب الترتيب الزمنى كما يلى:

(١) ما قبل المراهقة : من (١٠ - ١٢) سنة.

(٢) المراهقة المبكرة : من (١٣ - ١٦) سنة.

(٣) المراهقة المتأخرة : من (١٧ - ٢١) سنة.

بينما تشير «سهير سليمان» إلى أن مرحلة المراهقة يمكن أن تقسم إلى:

(١) المراهقة المبكرة : من ١٢ - ١٥ سنة (المرحلة الإعدادية).

(٢) المراهقة الوسطى : من ١٥ - ١٨ سنة (المرحلة الثانوية).

(٣) المراهقة المتأخرة : من ١٨ - ٢١ سنة (المرحلة الجامعية).

فى ضوء العرض السابق، لتعريفات وتقسيمات مرحلة المراهقة نستخلص النقاط التالية:

(١) مرحلة المراهقة من أدق وأخطر المراحل التى يمر بها الإنسان.

(٢) المراهقة مرحلة تبدأ بنهاية الطفولة وتنتهى بابتداء مرحلة النضج.

(٣) تتميز مرحلة المراهقة بالبلوغ وما يتبعه من تغيرات تشمل كافة جوانب الشخصية.

(٤) المراهقة مرحلة مليئة بالمشكلات والصراعات والعواصف والضغوط.

(٥) المراهقة مرحلة نضج جسمى لا يقابلها اكتمال نضج اجتماعى مماثل.

(٦) عدم الاتفاق بين الباحثين حول بداية ونهاية مرحلة المراهقة.

(٧) عدم الاتفاق بين الباحثين حول التقسيمات الفرعية لمرحلة المراهقة.

(٨) تتخذ مرحلة المراهقة أشكالاً وصوراً متعددة تتباين بتباين الظروف والعادات والأدوار الاجتماعية وذلك من مجتمع لآخر بل وفى إطار المجتمع الواحد بين ريفه وحضره وفى الطبقات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة.

(٩) وبينما نجد من التعريفات من لا يهتم بالسن الذى تقع فيه فترة المراهقة وتعرفها بأنها فترة الحياة التى تقع بين الطفولة المتأخرة وفترة الرشد وهى فترة ليس لها بداية أو نهاية محددة وتتميز بتغيرات جسمية وعقلية، كما وصفها «فرويد» بأنها فترة نهاية التحول أى المرحلة التى تقترب كثيراً من النضج عندما تقوم القوى الداخلية للفرد بتأثير قلق النمو بتغيرات كيفية فى مسارات الأنا، وهذا ما أشار إليه «ايريكسون Erik-son» أنه بانتهاء التوحد بالأبوين تبدأ آثار هذا التوحد فى الظهور ومنها اتخاذ شخصية المراهق لأشكال مختلفة.

(١٠) نجد من التعريفات من يهتم بما يمكن أن نطلق عليه مؤشرات المراهقة ونرى أنه بالرغم من أن المراهقة فترة انتقالية فى حياة الفرد بين الطفولة والبلوغ، إلا أن هناك جدل بين علماء النفس فيما يتعلق بالبداية والنهاية الصحيحة لهذه الفترة، مع اتفاقهم على التغيرات والنمو المتزايد للمراهق إلى جانب ظهور سمات الجنس الثانوية، والاهتمام المتزايد بالموضوعات الجنسية والجنس الآخر، واهتمام المراهق بنفسه وشعوره بالندية لمن هم أكبر منه سنًا ومقامًا وإحساسه بالمزيد من المسئولية والتى اعتبروها مؤشرات للمراهقة، إلا أنه لا يوجد اتفاق عام حول أى هذه التغيرات تعرف المراهقة وأى السمات يغلب ظهورها فيها.

(٢) المراهقـة والبلـوغ

كانت الشعوب البدائية والمدنيات القديمة تعتبر البلوغ والمراهقة ظاهرة واحدة حيث يعد الطفل شخصًا راشداً حينما يكون قادراً على التناسل، أما اليوم فيستخدم «مصطلح المراهقة» بمعنى أوسع ليتضمن النضج العقلى والانفعالى والاجتماعى وكذلك النضج الجسمى، فالمراهقة فترة عمرية فيها يكون من المتوقع إعداد الفرد لحياة الرشد عن طريق استبدال الاتجاهات والأنماط السلوكية الطفلية بتلك المميزة للكبار.

والمراهقة كمرحلة عمرية قد يجرى تعريفها - كما سبق الإشارة - بطرق متعددة فمن ناحية النمو الجسمى تعنى المراهقة بالنسبة للفرد أنها تلك الفترة التى تبدأ فيها العلاقات أو الدلائل الأولى للانتقال إلى النضج الجنسى، وتنتهى تلك الفترة حينما يتوقف النمو الجمسى تقريبًا فى حوالى سن (١٧ أو ١٨ سنة) ومن ناحية الاستجابات الاجتماعية يمكن تحديد المراهقة على أنها تلك الفترة التى تبدأ بزيادة الاهتمام بالجنس الآخر وتنتهى بتحقيق الاستقلال الاجتماعى والاقتصادى عن الوالدين، والمراهقة بذلك هى مرحلة من النمو التى تقع بين الطفولة والرشد مرحلة نمائية انتقالية من عالم الأطفال إلى عالم الكبار.

وتعقيبًا على ما سبق، فقد لاحظت أن البعض يخلط بين كلمة المراهقة « Adolesence » وكلمة البلوغ « Puberty » ولكن يجب التمييز بينهما.

فبينما تعنى المراهقة كما يعرفها «آدامس Adams» مرحلة التدرج نحو النضج بجوانبه الجسمانية والجنسية والعقلية والنفسية، نجد أن البلوغ يعنى على وجه التحديد نضج الأعضاء الجنسية واكتمال وظائفها عند الذكر والأنثى وعلى ذلك يتضح أن البلوغ يقصد به جانب واحد من جوانب المراهقة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن البلوغ يأتى قبل الوصول إلى مرحلة المراهقة، ففى بداية مرحلة المراهقة تحدث تغييرات كثيرة ومن أهمها النضج الجنسى حيث تبدأ الغدد الجنسية فى هذه المرحلة بالقيام بوظائفها.

وفى هذا الإطار يتحدث «روسو Rousseau» عن البلوغ قائلاً: إنه ولادة جديدة حيث تظهر وظائف جديدة بطريقة فجائية وتصبح مسيطرة على التنظيم السيكولوچى، إن جوهر البلوغ هو نضج الغدد الجنسية وهو مرحلة من مراحل النمو يتحول عندها الفرد من كائن لا جنسى إلى كائن جنسى، ومرحلة البلوغ مرحلة فريدة ومتميزة فى النمو وذات خصائص لا توجد فى فترة أخرى من مراحل الحياة، إذ إنها فترة تداخل فيما بين الطفولة والمراهقة، وفى خلالها لا يصبح الطفل طفلاً نظراً للتغيرات الحادثة فى سلوكه وجسمه، ولكنه لم يصبح مراهقًا بعد، وهى فترة قصيرة نسبيًا إذ تستمر فيما بين سنتين إلى أربع سنوات ويحدث خلالها تغير جسمى وسيكولوچى سريع.

وكان يعتقد قديمًا أن للجو أثراً كبيراً على الإسراع فى النضج الجنسى، فالأطفال الذين ربوا فى أجواء حارة كان من المفروض أن ينضجوا مبكرين عن الأطفال الذين نشأوا فى أجواء باردة، ولكن الأبحاث الحديثة فشلت فى تحقيق هذا الغرض.

وللبلوغ ثلاث مراحل، وهى مرحلة ما قبل البلوغ عندما تكون الخصائص الجنسية الثانوية بادئة فى النمو ولكن الوظيفة الإنتاجية لم تنضج بعد، ومرحلة البلوغ وفى أثنائها تكون الخصائص الجنسية الثانوية مازالت مستمرة فى النمو، ومرحلة ما بعد البلوغ أو مرحلة النضج وعندها تكون الخصائص الجنسية الثانوية قد نمت بدرجة جيدة وتكون الأعضاء الجنسية عاملة بطريقة ناضجة.

أما عن سن البلوغ، فقد استخلصت وذلك فى ضوء بعض الكتابات الحديثة أنه يختلف باختلاف الجنس والظروف المادية والاجتماعية والمناخية التى يعيش فيها المراهق.

فعن علاقة الجنس بالبلوغ لوحظ أن الإناث يصلن إلى مرحلة النضج الجنسى فى سن مبكرة عن الذكور بمدة تبلغ نحو عامين ففى المتوسط تصل الإناث إلى هذه المرحلة فى حوالى سن الثانية عشرة بالمقارنة بسن الرابعة عشرة فى حالة الذكور، وينبغى الإشارة إلى أن هناك فروقًا فردية واسعة بين الأفراد

فى سرعة نموهم واكتمال نضجهم، وهناك علاقة بين نضج المراهق والعوامل البيئية كالتغذية والمناخ والحالة الصحية، فنجد أن حالات الضعف العام أو المرض الطويل قد تؤدى إلى تأخر النضج الجنسى، فالمراهقة ما هى إلا محصلة التفاعل بين العوامل البيولوچية والثقافية والاقتصادية التى تؤثر فى المراهق.

فسن البلوغ يختلف من مجتمع إلى آخر ويتغير بمرور الزمن فى نفس المجتمع، حيث تذكر «برود هيرست Broad Hurst» أن سن البلوغ قد انخفض فى إنجلترا والنرويج من (١٥,٥ سنة) عام ١٨٥٥ إلى ما يقرب من (١٣ سنة) فى عام ١٩٥٠.

وتعليقًا على الحدود الفاصلة بين مفهومى المراهقة والبلوغ نرى أن المراهقة وكما يعرفها بعض العلماء تدرج نحو النضج البدنى والجنسى والعقلى والانفعالى والدينى.

أما البلوغ، فلا يقتصر إلا على ناحية واحدة من نواحى النمو وهى الناحية الجسمية، ويعرف بأنه «نضوج الغدد التناسلية واكتساب معالم جنسية جديدة تنتقل بالطفل من فترة الطفولة إلى فترة الإنسان الراشد.

(٣) النظريات المفسرة لمرحلة المراهقة

قدم علماء النفس تفسيرات عديدة لما يعانيه المراهقون فى هذه المرحلة من أزمات، ففى هذه المرحلة كما يشير العلماء ينتقل المراهق من عالم إلى عالم آخر ومن جماعة إلى جماعة أخرى ومن حياة قديمة إلى أخرى جديدة، وأن هذا الانتقال قد يؤدى إلى تخلخل الأسس القديمة التى تشبع بها الطفل خلال حياته السابقة.

•• وفيما يلى عرض لأهم الاتجاهات النظرية المفسرة لمرحلة المراهقة والتى يمكن أن تصنف فى الآتى:

١ - «ستانلى هول» والاتجاه البيولوچى.

٢ - «مرجريت ميد» والاتجاه الاجتماعى.

٣ - «سولنبرجر» والاتجاه البيولوچى الاجتماعى.

٤ - «فرويد» والاتجاه النفسى الجنسى «السيكودينامى».

٥ - «اريكسون» والاتجاه النفسى الاجتماعى.

وخلال السطور التالية سنوضح بإيجاز مضمون كل نظرية على حدة:

١ - «ستانلى هول» والاتجاه البيولوچى

تعتبر نظرية «ستانلى هول Stanley Hall» من أوائل النظريات التى تناولت تفسير أزمة المراهقة، حيث يؤكد كثير من الباحثين أن الاهتمام الكلى بالخصائص النفسية المتصلة بنمو المراهق قد برزت جلية فى كتابات «ستانلى هول» نتيجة لسعة الاستبيانات التى قام بها، ونتيجة لكثرة المعطيات والمعلومات التى قد حصل عليها لدى اطلاعه على عدد من السير الشخصية لكثير من الناس.

ففى كتابيه الضخمين حول المراهقة (سنة ١٩٠٤) صور فيهما حياة الفرد تصويراً يتسم بالشدة والتوتر حيث اعتبرها مرحلة عواصف وضغوط « Storm and Stress » تولد فيها الشخصية من جديد، وذهب إلى أن المراهق إنسان تائه، سريع الانفعال غير متزن، لا نستطيع أن نتنبأ بما سيفعله لكثرة تقلباته الانفعالية، وعدم استقراره النفسى مما يخلق لديه أزمة حتمية بسبب جملة التغيرات الفسيولوچية والبيولوچية التى يعيشها أثناء وبعد البلوغ، وما يتبعها من معاناة وإحباط وصراع وقلق ومشكلات وصعوبات توافقية.

ورغم ما يذهب إليه « هول Hall »، فقد لاحظت أن بعض المحللين النفسيين يعتقدون أنه قد بالغ فى حتمية الاضطراب « الثورة والعصيان » فى هذه المرحلة من الحياة.

٢ - « مرجريت ميد » والاتجاه الاجتماعى

وعلى خلاف ما ذهب إليه « هول Hall » تؤكد « ميد Mead » والتى تمثل الاتجاه الاجتماعى أنه عندما يمر المراهقون بصعوبة يجب على الفرد أن ينظر إلى الثقافة ليكتشف المشكلة، فمثلاً يعانى المراهقون فى أمريكا من التوتر والقلق وشدة الانفعال فى حين أن الأبحاث على قبائل « الساموا Samoa » (سنة ١٩٢٥) بينت أن فترة المراهقة هناك تعتبر فترة سرور وبهجة وخلو من الشدة والتوتر.

حيث إن المراهقين فى هذه القبائل يأخذون أدواراً أساسية ويتحملون العديد من المسئوليات مما يجعل فترة المراهقة لا تمثل أزمة بقدر ما هى فترة تتسم بالهدوء النسبى، ومن ثم فالقول بقلق المراهقين واضطرابهم فكرة ليست قاطعة ونهائية ولا تفسر سلوك المراهقين فى كل المجتمعات.

ومن هنا أرى أنه يمكن القول وفقًا لرأى « ميد Mead » أن أزمة المراهقة أو بداية الشباب تختلف فى شكلها ومضمونها وحدتها من مجتمع إلى مجتمع ومن حضارة إلى حضارة أخرى، فالأزمة لا تكون استجابة لتغيرات

نفسه وإنما تكون استجابة للحضارة والمجتمع الذى يعيش فيه وللتغيرات التى تطرأ عليه.

وفى ضوء دراسة «ميد» ضعفت وجهة نظر الاتجاه البيولوچى وأصبح من الواضح أن بعض مظاهر المراهقة لا تتصف بالعمومية وأن درجة الضغط والصراع التى يتعرض لها المراهق إنما تعود بالدرجة الأولى للفارق الحضارى والثقافى من مجتمع لآخر، فالمراهقة كفترة انتقالية يمكن أن تتصف بالهدوء النسبى فى مقابل العاصفة الشديدة فالأمر يتوقف على المحيط الاجتماعى والثقافى المحيط بالفرد، ومن ثم فقد أرجعت «ميد» مشاكل المراهقين إلى وجود معايير متصارعة وقيم ثقافية متعارضة فى اختبارات الفرد، ومن ثم فخبرات المراهق تتغير بتغير المناخ الثقافى.

كما يزودنا المجاليون بصورة حية ونموذج لأثر المعطيات والمدلولات التى تبناها علماء الانثروبولوچيا الذين يؤكدون على الجانب الثقافى لظاهرة المراهقة وفى تفسيرهم لأثر التغيرات التى تحدث فى البيئة على تخيلات الفرد وتصوراته حيث يشير «ليڤين» بأن سلوك الفرد يعتمد على طول مجال حياة الإنسان على هذه الأرض والتى تشمل فى الواقع حياة الفرد فى محيطه النفسى أى المحيط أو البيئة من خلال رؤيته الذاتية وتتميز حياته وتتحدد بأبعاد الواقع.

ويستطرد «ليڤين» مصوراً مشكلة المراهق على أنها سوء توجيه فالمراهق يشبه رائد الفضاء الذى يهبط على كوكب غير معلوم (غير مألوف) فكل شىء بالنسبة له يكون جديداً، ومن ثم فالتغيرات التى يتعرض لها المراهق الصغير تجعله «رجلاً هامشيًا».

فهو يجتاز - أى المراهق - أرضًا محايدة ليست ملكًا لأحد فلا هو بالطفل ولا هو بالراشد وإنما هو محصور فى منطقة تداخل القوى المؤثرة والتوقعات فهو فى وضع غامض لا يعرف بوضوح كاف من هو، وما المطلوب منه، وما المسموح له به، وما يتقبل منه وهذا ما يعكس وضعه كإنسان هامشى.

ومن ثم أرى أن مفهوم «ليڤين» عن المراهقين كأشخاص هامشيين يشير إلى الحاجة إلى تحسين الاتصال بالمراهقين وتوفير فرص الاستقلال لهم وتنمية الشعور بالمسئولية، وأن يكونوا مصدراً للمعلومات المساعدة وذلك لضمان الاستقرار بين الكبار والمراهقين.

٣ - «سولنبرجر» والاتجاه البيولوچى الاجتماعى

وفقًا لما أشار إليه «ستانلى هول» وما تؤكده «ميد» وما بينه «ليڤين» يرى «سولنبرجر Sollenperger» أن المراهقة بيولوچية اجتماعية على السواء وهذا الاتجاه الأخير عبر عنه «سولنبرجر» فى مقال نشره سنة ١٩٣٩ بعنوان مفاهيم عن المراهقة «The concept of adolescence»، يؤكد فيه أن المجتمع نفسه لا يعطى للمراهق فرصًا كافية للقيام بالدور الذى يتفق ومستويات نضجه الجسمى والعقلى ونزعته إلى التحرر والاستقلال ومن هنا ينشأ الإحباط والصراع الذى تتسم به المراهقة.

إلا أن هذه المشكلات وذلك الصراع - كما استخلصت فى ضوء الاتجاه البيولوچى الاجتماعى - ليس وليد الثقافة وحدها بل هو نتيجة للتفاعل المتبادل «Interaction» بين العوامل البيولوچية والعوامل الاجتماعية التى يعيش فيها الفرد، وهكذا نستطيع أن ننظر إلى المراهقة لا على أنها تمثل فترة مستقلة منفصلة عن مراحل النمو وإنما باعتبارها مرحلة انتقال مستمرة من الطفولة إلى الرجولة.

وهنا يؤكد «سولنبرجر» على أن المراهقة إذا كانت فترة انتقالية - كما ذكر ليڤين - إلا أنها ميلاد جديد من رحم قديم أى ميلاد من طفولة تؤثر فى هذا الجديد ليؤثر هذا الجديد بعد ذلك فيما يولد من رحمه، فالمراهقة تتأثر بما هو سابق عليها (الطفولة) وتؤثر فيما هو لاحق بها (الرشد) فلا انفصال بين المراحل النمائية للفرد.

وهذا ما سنلمسه واضحًا جليًا لدى كل من: «فرويد واريكسون»، ورغم أن كل منهما يمثل اتجاهًا متميزاً عن الآخر فى سيكولوچية المراهقة إلا أنهما لا ينفصلان كثيراً وهذا ما سيتضح فيما بعد.

٤ - «فرويد» والإتجاه النفسى الجنسى (السيكوديناميى)

يؤكد أنصار مدرسة التحليل النفسى، أن بنية الشخصية تتعرض لتعديل فى طور المراهقة فقد كانت «الأنا ego» قبل حلول هذه الفترة تشغل مركزاً متوسطًا بين «الهو ID» والأنا الأعلى «Super ego» وتتولى مهمة التوفيق بينهما على نحو يكفل لكل منهما إشباعه المنشود، وطبقًا للتصور الفرويدى لسيكولوچية المراهقة فإن وظيفة «الأنا» فى هذا الصدد يطرأ عليها نوع من التشويش والاضطراب نتيجة لانخراط الفرد فى طور البلوغ، ويبدو «الهو ID» فى هذا الوقت محكومًا أو موجهًا بتأثير الحفزات الجنسية متخطية مجرد الحصول على اللذة إلى الرغبة فى التناسل والتكاثر أيضًا.

وكانت «الأنا الأعلى Super ego» حتى حلول هذه الفترة الحرجة، قد شرعت فى ممارسة وظيفتها واستقرت على إطار هذه الوظيفة وحددت ملامحها خلال سنوات الكمون وذلك عن طريق التوحد «Identification» مع الوالدين والمثل العليا الموقرة فى المجتمع، ولكن مع حلول هذه الفترة الحرجة تهتز دعائم الأنا الأعلى نتيجة للتغيرات التى طرأت على علاقة المراهق بوالديه خاصة الوالد الذى يتفق معه المراهق فى الجنس فقد كان هذا الوالد نموذجًا يقتدى به المراهق منذ الطور الأوديبى.

وطبقًا لما يذهب إليه التصور الفرويدى فى هذا الصدد، فإن الارتباط الأوديبى بين المراهق ووالده الذى يختلف معه المراهق فى الجنس أثناء المرحلة القضيبية - أى فى حوالى سن أربع سنوات تقريبًا - يطرأ عليه نوع من التعويق نتيجة اضطرار المراهق إلى كبت كل ما يشعر به وقتئذ من مشاعر شبقية تجاه الوالد حيث تظل قائمة عند مستوى اللاشعور وتمارس تأثيرها من خلاله.

وبحسب رأى «فرويد» نشير إلى أن كثيراً من صور السلوك الطفلية فى مرحلة المراهقة ربما كانت بقايا أو آثاراً لعمليات الكبت والقمع التى تحدث لبعض التصرفات والرغبات فى مرحلة الطفولة.

وقد لوحظ أن مشكلات المراهق مع السلطة ترجع جذورها أو بدايتها إلى الطور الإستى «Anal Phas» وأن كل ما يحدث فى فترة المراهقة لا يعد سوى عودة من جانب الفرد مرة أخرى إلى ما كان عليه فى هذا الطور من حيث المكابرة فى جنوحاته وتحديه العنيد لموقف الآباء، وبالمثل فإن كثيراً من مظاهر السلوك الصبيانى لدى المراهقين مثل تقلبات المزاج والانزلاق فى الأعمال غير المسئولة يمكن أن ينطوى على جوانب نكوصية.

ومع ذلك فان «فرويد» يعتبر مرحلة المراهقة المرحلة الأخيرة فى عملية النمو النفسى الجنسى، وهذه المرحلة «التناسلية» تتميز بملامح ارتقائية مهمة منها التحول إلى عشق الذات واحترام الواقع ونمو الميول الجنسية الغيرية وهى فضلاً عن هذا فترة قلق وبخاصة فيما يتعلق بالدوافع الجنسية.

وعلى الرغم من أن نظرية «فرويد» لها مفاهيم عديدة بالنسبة لتطور شخصية المراهق إلا أن كثيراً من الاستخدامات المفيدة لنظرية التحليل النفسى ليست من «فرويد» لكنها من باحثين آخرين وسعوا من نظريته وطبقوها على المراهقة مثل: «أنا فرويد Anna Freud: 1958» حيث ترى أن المراهقة تعد بمثابة قطع أو إنهاء للنمو الآمن للفرد.

فالطاقة الجنسية - لدى المراهق - تشعل الدافع الجنسى وتهدد التوازن بين «الهو» و«الأنا» مما يؤدى إلى القلق والخوف والأعراض العصابية، هذا بالإضافة إلى مجموعة مسالك غير متفقة ولا يمكن التنبؤ بها حيث تسود فى هذه المسالك لغة النقيضين والتأرجح ما بين الحب والكراهية، والتوحد مع الآخرين والبحث فى الوقت نفسه عن ذاتيته، وهذه الذبذبات بين النقيضين يمكن أن تعتبر غير سوية فى مراحل عمرية أخرى، أما فى هذه المرحلة فإنها تدل على أن بناء راشداً قد بدأ يتفتح.

ويشير «سوليڤان Sullivan» إلى أن الكثير من صراعات المراهقة تنشأ نتيجة الحاجات المتعارضة للإشباع الجنسى والحاجة إلى الأمن وإلى العلاقات الحميمة الوثيقة، وتستمر المراهقة المبكرة حتى يستطيع الشخص أن يجد نمطًا

ثابتًا للأداءات يشبع دفعاته التناسلية،وتمتد المراهقة المتأخرة ابتداء من تكوين نمط من النشاط التناسلى المتصل عبر خطوات لا عدد لها من التعلم والاقتداء حتى يكون بناء من العلاقات الشخصية المتبادلة المكتملة الإنسانية أو الناضجة بقدر ما تسمح به الفرص الشخصية والثقافية المتاحة.

وتعد المراهقة بمثابة فترة للميلاد النفسى للكائن البشرى، ميلاده النفسى كذات فريدة تعى لأول مرة وجودها فى عالم اكتملت له بالدلالة الجنسية أبعاده، فالمراهقة ليست إلا تحولاً من الميلاد الكمى للإنسان (وجود الإنسان كوجود فيزيائى) إلى الميلاد الكيفى للإنسان (وجود الإنسان كوجود نفسى) كذات فريدة واعية.

فالكائن البشرى كما يشير العلماء يولد فى هذه اللحظة التى يعى فيها وجوده بشكل مكتمل بدنى ونفسى معًا فى عالم اكتملت بالدلالة الجنسية أبعاده، ويبدأ الوجود الحقيقى للكائن البشرى فى المراهقة بفكرة الصراع بين جيلين: جيل الآباء وجيل الأبناء وتبدأ ثورة الأبناء على فكر وفلسفة الآباء لوجود فكر وفلسفة للأبناء تناقضها، ويحاول الآباء تجريد المراهقين من كل ثقة فترفع الاستقلالية المسرفة فى وجه التبعية والتسلطية للوصول إلى تبعية متبادلة.

ونظراً لأن المراهق يواجه بمدد هائل من الطاقة الجنسية الغامرة عند البلوغ حيث تصبغ عالمه بالجنسية مما يحطم الاتزان القديم، فينشأ عصاب صدمى يظهر على أثره أعراض انفعالية مثل: سرعة القابلية للتهيج ونوبات غضب وقلق وأحلام يقظة، ويحاول المراهق إعادة حالة الاتزان من جديد من خلال تجربة كل الإمكانيات وسائر الدفاعات لحل صراعاته التى يعيشها ليخلص إلى تسوية ومصالحة وائتلاف ليبتعد عن مجرد الوجود «كنقيض» بل يصبح هوية فريدة تتماثل مع غيرها من الهويات وإن تفردت عن سائر الهويات الأخرى.

فى ضوء الاتجاهات النظرية السابقة (الاتجاه: البيولوچى - الاجتماعى - البيولوچى الاجتماعى - النفسى الجنسى) يتضح - عزيزى القارئ - أن دراسة

سيكولوچية المراهق اعتمدت على مبدأ الحتمية البيولوچية والتركيز على الطاقة الجنسية على نحو ما وجد لدى «ستنالى هول» و«فرويد» وكان للزاوية الاجتماعية والعناصر الثقافية النصيب الأكبر فى دراسات «ميد وليڤين» غير أن «إريك إريكسون Erik Erikson» يطالعنا باتجاه جديد - بُنى بإحكام على أرضية من الاتجاهات السابقة عليه - فى دراسة المراهقة ويظهر ذلك من خلال نظريته فى النمو النفسى الاجتماعى للفرد.

٥ - «إريكسون» والاتجاه النفسى الاجتماعى

المراهقة كما يؤكد إريكسون فى ضوء الاتجاه النفسى الاجتماعى، أعنف ما يواجه الإنسان فى مراحل تطوره ، فالجسد يعود مرة أخرى ليقحم نفسه على الوجود من خلال نموه المفاجئ فى الحجم والشكل علاوة على التغيرات الكيميائية (الهرمونية) مما يصيب الشاب بهزة فى كيانه تجعله يكاد يفقد التعرف على نفسه فيسأل بإلحاح وبعمق (من أنا؟) وهنا تبرز مشكلة الهوية التى تكون جوهر الصراع فى هذه المرحلة من حياة الإنسان.

هذا وقد عرض «إريكسون Erikson: 1968»، تحليلاً مفصلاً لهذه المرحلة أكثر من أى مرحلة أخرى من مراحل نمو «الأنا» وذلك لاعتبارها -من وجهة نظره- مهمة فى تشكيل سلامة الفرد النفسية والاجتماعية ويشير «إريكسون» أن التغيرات التى يواجهها المراهق فى هذه المرحلة (التى تعتبر فترة تحول حاسم بين الطفولة والرشد) ينتج عنها كثير من المشكلات النفسية والاجتماعية، وتزداد ثقة الفرد إذا ما واجه تحديات هذه المرحلة بنجاح.

ويؤكد «إريكسون Erikson: 1963» أنه فى هذه المرحلة - المراهقة - يظهر بعد نفسى اجتماعى جديد، طرفه الإيجابى هو الإحساس بهوية الذات وطرفه السلبى هو ارتباك وخلط الأدوار، والمهمة الرئيسية التى تواجه المراهق فى هذه المرحلة هى إدماج كل معرفة اتخذها عن نفسه سواء (كابن، أو ابنة - كطالب - كرياضى - كموسيقى ... إلخ) فى ائتلاف هوية ذاتية تبين الوعى بالماضى والمستقبل الذى يترتب منطقيًا على هذا الماضى والصراع النفسى

الاجتماعى فى هذه المرحلة هو صراع داخل «الأنا» نفسها بين تأكيدها لهويتها وتحديد هذه الهوية فى مقابل عدم تحديدها.

ويمكن أن نطلق على المراهقة بأنها مرحلة تأجيل «Moratorium» والتى يجد الفرد نفسه أثناءها مستكشفًا للتغير الذى طرأ على أنماط الحياة فى الطباع وكذلك فلسفات الحياة قبل أن يلزم نفسه تمامًا بأى واحدة منها.

ويمكن أن نطلق عليها أيضًا مرحلة تقنين الذات خلال البحث عن كل من الهوية الجنسية والعمرية والمهنية والاجتماعية، فالشاب فى هذه المرحلة يبحث عن الإحساس بذاته وهذا الإحساس ينطوى على الالتزام بأدوار يتطلع المراهق لاختبارها فهو يريد أن يحقق دور الراشد المستقل عن الأسرة والزميل المخلص لقيم الأصدقاء، وفى الوقت نفسه الابن الطيب فى أسرته.

وتكمن الأزمة الحقيقية هنا فى محاولة المراهق للتوفيق بين المتطلبات المتعارضة لهذه الأدوار، وهو فى بحثه عن التوفيق بين التوقعات المختلفة لكل دور قد ينجح متجاوزاً أزمته وبالتالى مشكلاً هويته ومبادئه الشخصية الذاتية.

ويصف «إريكسون» نتائج عدم منح الشباب حرية تجريب أدوار مختلفة فيقول: لو شعر المراهق بأن البيئة تحاول أن تحرمه من كل صور التعبير التى تسمح بتطوير وتكامل الخطوة التالية فى هوية «أناه» فإنه سيدافع عنها بقوة مذهلة تشبه قوة الحيوانات التى فرض عليها الدفاع عن حياتها.

ويؤكد «إريكسون» أن مرحلة المراهقة تمثل تأجيلاً اجتماعيًا نفسيًا للرشد بالطريقة نفسها التى تتيح بها مرحلة الكمون تأجيلاً نفسيًا جنسيًا، والمقصود بفترة التأجيل هذه الفترة التى تمنح لشخص ما حين لا يكون مستعداً للوفاء بالتزاماته، ويرى «إريكسون» أن المراهقة ليست فقط تأجيلاً لوفاء المراهق بالتزامات الراشدين وإنما هى أيضًا فترة تتميز بالتسامح (الاختيارى) من جانب المجتمع وباللهو الاستفزازى من جانب الشاب وبقبول رسمى بالالتزام من قبل المجتمع.

انطلاقًا مما سبق، أرى (فى ضوء الاتجاه النفسى الاجتماعى لإريكسون» أن الرشد لا يعنى فقط اكتمال النمو من الزاوية البدنية، بقدر ما يعنى فى المقام الأول اكتمال دعائم هذا النضج من الناحية النفسية والاجتماعية والاقتصادية، ومن ثم فالمراهقة من حيث هى فترة أزمة لا ترجع فى هذا الطور إلى أطوار النمو فى ذاته وإنما ترجع فى المقام الأول إلى مشاكل الحياة الراشدة التى يتأهب المراهق للانتقال إليها.

فالفرد إذاً فى مرحلة المراهقة، بحاجة إلى الوقت لكى يدمج نفسه إدماجًا كاملاً فى مرحلة الرشد كما أن المجتمع يسمح له بذلك الوقت ويجرب الشاب أنماطًا من الهوية قبل أن يصل فى النهاية إلى تحديد نهائى لذاته وهويته.

ويذهب «إريكسون Erikson: 1982» إلى أن عملية تكوين الهوية ليست عملية بسيطة تشير إلى حاصل جمع كل خبرات الطفولة والنضج البيولوچى، ونمو الأنا وإنما هى بالأحرى كيان Configunation بسبيله للتكوين أو الظهور «Evolve» وهو كيان تتكامل فيه تدريجيًا المعطيات التكوينية والحاجات الليبيدية والقدرات المميزة والتوحدات ذات الأهمية والدفاعات الفعالة والإعلاء الناجح، والأدوار المتسقة وكلها تظهر فقط نتيجة للتفاعل المتبادل بين الإمكانيات الفردية والنواحى التكنولوچية فى المجتمع بالإضافة إلى الأيديولوچيات السياسية والدينية فى مجتمع ما.

من خلال العرض الموجز السابق، تناولنا - عزيزى القارئ - أهم النظريات المفسرة لمرحلة المراهقة، وقد اتضح عدم الاتفاق بين الباحثين والعلماء عند تناولهم لتلك التفسيرات النظرية فلكل منهم وجهة نظر تختلف عن الآخر، وانطلاقًا من ذلك وفى ضوء أن المراهقة هى نتاج لتفاعل العوامل الوراثية مع العوامل السوسيولوچية (البيئية - الاجتماعية) وكذلك العوامل السيكولوچية (النفسية)، فيجب عدم الاقتصار على تفسير دون الآخر، أى أنه لكى نتمكن من فهم طبيعة مرحلة المراهقة فلا بد من أسلوب متكامل يجمع كافة الأبعاد.

(٤) خصائص وسمات مرحلة المراهقة

فترة المراهقة لها خصائصها ومزاياها التى تميزها عن أى فترة أخرى من حياة الفرد نظراً للتغيرات السيكولوچية «النفسية» التى تطرأ على الفرد، فهى مرحلة المرونة ويكون المراهق فيها على استعداد للتشكيل وتخلخل القديم وتقبل الجديد، ويؤدى ذلك بدوره لاضطرابات لدى الأفراد، ونبذهم لمعتقداتهم السياسية والدينية فقد يتخبطون فى آرائهم تجاه ما يواجههم من آونة لأخرى.

ويعتبر العناد من أهم سمات المراهق، فإذا اهتم الوالدان بالنظافة رغبة فى أن يتعودها فإنه يقاوم ويتخذ النقيض بإهمال مظهره وملبسه والعزوف عن نظافة غرفته، بل ويجد لذة فى أن يظهر بمظهر القذارة والإهمال، وإذا اهتمت الأسرة بالتمسك بالأخلاق الحميدة فإنه يجنح نحو السلوك الذى لا ترضى عنه، فهو يثير المشكلات مع الناس ويحطم الهدوء المنشود فى الحياة المنزلية، وإذا أظهر الوالدان اهتمامًا بغذائه انصرف هو عن الغذاء حتى لو وقع فريسة المرض والهزال، وهكذا الحال بالنسبة للدراسة؛ يقاوم إلى درجة أن يهبط إلى مستوى التأخر الدراسى وخاصة إذا آملت الأسرة تفوقه.

وفى ضوء ذلك نؤكد على مسألة مهمة - كأحد أشكال العناد - تقلق الوالدين وتجعلهما فى عراك دائمٍ مع المراهق وهى عادة تدخين السجائر، فإذا أبدى الوالدان عدم الرضا عنها كعادة سيئة لما تسببه من أضرار صحية ونفسية ومادية، فإن المراهق يسرع وينغمس فى التمسك بهذه العادة.

من ناحية أخرى، فإن هذه الفترة «المراهقة» هى مرحلة النضج الجنسى ودخول المراهق عالـمًا جديداً فيه لذة وإثبات لرجولته إلا أنه يجد نفسه أمام القيود الأخلاقية التى تحول بينه وبين هذا العالم المحيط به، وهذا يحتاج بدوره لإشباعٍ لاتجاهاته وغرائزه بوازع قوى وليس هناك أقوى من الوازع الدينى فى توجيههم الوجهة الصحيحة.

وفى هذا الإطار، يشير «فليب ريس Philip Rice: 1981» إلى مرحلة المراهقة على اعتبار أنها مرحلة ذات طبيعة بيولوچية واجتماعية على السواء، تبدأ بالبلوغ الجنسى للجنسين وتنتهى بالنضوج والاستقلالية فى الرشد وانطلاقًا من ذلك فهناك العديد من الخصائص والسمات التى تميز مرحلة المراهقة ومنها:

(١) التطلع والرغبة فى الاستقلال والتحرر من السلطة الأبوية والأسرة.

(٢) الشعور بالانتماء إلى الأصدقاء فى نهاية الفترة.

(٣) الميل إلى التحرر من العرف والتقاليد.

(٤) البحث والمناقشة فى الموضوعات والظواهر غير الملموسة مثل: الفلسفة، السياسة، الاقتصاد، الدين، ... إلخ.

(٥) قد تظهر فى أواخر فترة المراهقة أعراض عدم الاستقرار، والانطواء، أو التصرفات الشاذة التى تثير قلق الكبار على المراهق.

وعلى الرغم من الاتفاق حول وجود اختلاف بين سلوك المراهقين وفقًا لاختلاف الوسط الثقافى والاجتماعى إلا أن ذلك لا ينفى أن هناك خصائص عامة ومظاهر مشتركة لتلك المرحلة، من تلك الخصائص والمظاهر، اهتمام المراهق بذاته وما طرأ عليه من تغيرات مختلفة، أيضًا التقلبات الانفعالية التى تجعله يتخبط بين الإيمان والإلحاد، الشك واليقين، الاستقلال والتبعية، العناد والطاعة، الحب والكراهية، الاحترام والاحتقار، ... إلخ، وهو دائمًا يقوم بتقييم علاقته بالآخرينو وبنفسه، كما أنه يتجه إلى النقد والتمرد، وفى بعض الأحيان إلى الثورة على القيم والمعايير السائدة.

فمن الشائع أن نجد المراهق يبحث فى أخطاء الآخرين مع ميله إلى نقد تصرفات الغير، ونجد أن روح النقد شاملة فهى تتوجه ضد الأسرة والمدرسة والمجتمع بصفة عامة، كما أن النزعة الاستقلالية تنمو بشكل ملحوظ فنجده يرفض أن يسيطر عليه الآخرون، ويميل إلى التمرد وتحمل المسئولية، وفى بعض الأحيان يتجه إلى العصيان وتحدى عالم الكبار والخروج عن أى قوانين أو تقاليد وفى نفس الوقت يميل إلى التوجه إلى الآخرين.

فالمراهق يشعر دائمًا بحاجته إلى التحرر من سلطة الوالدين بهدف التفرد وإبراز ذاته وفى نفس الوقت يسعى لتكوين علاقات جديدة مع الأصدقاء والزملاء تمكنه من التعبير عن نفسه كفرد وحصوله على التقدير أو الاعتراف الاجتماعى من خلال مشاركته فى الأعمال الجماعية، ففترة المراهقة إنما تمثل على حد تعبير «ميوش وكونجر وكاجن» شدة الفردية وشدة الاجتماعية، فالمراهق يشعر دائمًا بحاجته إلى الآخرين من الأصدقاء والزملاء كما أن لديه العديد من الجوانب والأنشطة التى يفضل التفرد بها.

وبذلك فخصائص المراهق، كما يؤكد «Muss» تحتاج إلى مزيد من الحوار الذى يسمح له أن يعبر عن ذاته وأن يحقق استقلاله ويشعره بالمسئولية ويشبع رغبته فى النقد واكتشاف الحقيقة والبحث عنها، كما أن هذا الحوار الفكرى والعقلى يمكن أن يحقق نضجًا انفعاليًا فيجعله لا يثور بسرعة ولا يبدو متهوراً أو متردداً فالنضج الوجدانى يتحدد بأسلوب التفكير والعمل والسلوك الذى يقوم به المراهق.

كما أرى أن النمو العقلى واللغوى للمراهق، يجعله لا يأخذ الأمور على أنها قضايا مسلم بها وإنما يقوم بعملية فحص وتحليل، والحوار يتفق وتلك الخصائص لأنه يساهم فى التفتح الذهنى والانتباه والإدراك، كما أن المراهق يمكن أن يكتسب قدرة على معالجة المسائل الاجتماعية بطريقة جدية ويقوم بتحليل المواقف تحليلاً دقيقًا.

فالمراهقون عمومًا، يهتمون بالمشكلات الفردية والقضايا السياسية والاجتماعية أكثر من اهتمامهم بالمناهج الدراسية ويساعدهم فى ذلك نمو القدرة الاستقرائية التى تبدو فى سهولة اكتشاف القاعدة من جزئياتها، والقدرة الاستنباطية التى ستبدو فى سهولة معرفة الجزئيات تحت لواء قاعدة عامة والقدرة على إقامة الأحكام وهى من الملامح الأساسية للنمو العقلى للمراهق.

فى ضوء العرض المختصر السابق، نستخلص النقاط التالية كسمات وخصائص تميز مرحلة المراهقة:

(١) القدرة على تخلخل القديم وتقبل الجديد.

(٢) مناقشة الموضوعات الدينية والسياسية.

(٣) اهتمام المراهق بذاته وما طرأ عليه من تغييرات مختلفة.

(٤) النقد والتمرد.

(٥) الثورة على القيم والمعايير السائدة.

(٦) العصيان وتحدى عالم الكبار.

(٧) الخروج عن القوانين والتقاليد.

(٨) الرغبة فى التحرر من سلطة الوالدين.

(٩) الرغبة فى إبداء الرأى والتعبير عن الذات.

(١٠) البحث فى أخطاء الآخرين.

(١١) السعى لتكوين علاقات جديدة مع الأصدقاء.

(١٢) الميل لتحمل المسئولية وتحقيق الذات.

(٥) مظاهر النمو فى مرحلة المراهقة

تناول بالدراسة والبحث مظاهر النمو فى مرحلة المراهقة العديد من الباحثين والعلماء أمثال: Havighurst: 1953، Ausubel: 1955، Parker: 1960، Arthur: 1965، Santroch: 1993، Adams: 1994، ... إلخ.

وفى ضوء دراسات وأبحاث وكتابات هؤلاء العلماء، نستخلص أهم مظاهر النمو فى مرحلة المراهقة على النحو التالى:

١ - النمو الجسمى

النمو الجسمى، فى بداية مرحلة المراهقة المبكرة تزداد سرعته ويحدث ما يسمى بطفرة النمو « Growth Spurt »، وذلك لمدة ثلاث سنوات تختلف من الإناث للذكور، فتكون من عشر إلى أربع عشرة عند الإناث ومن اثنى عشرة إلى ست عشرة عند الذكور.

ويزداد نمو العضلات وينتقل المراهق من فترة الكمون إلى فترة البلوغ، ويزداد الطول زيادة سريعة ويبدو الأنف كبيراً بالنسبة للوجه، ويكون النمو الجسمى غير متناسق مما يقلق المراهق ويجعله يعانى من النقص ويزداد حرجه بخصوص شكله.

٢ - النمو الانفعالى

من مظاهر النمو الانفعالى فى هذه المرحلة، أن المراهق قد لا يستطيع التحكم فى انفعالاته وضبطها، كما أن سلوك المراهق يكون متقلبًا بين سلوك الأطفال وتصرفات الكبار، ويسعى نحو تحقيق الفطام النفسى، والاستقلال عن الوالدين وتكوين شخصية مستقلة، كما يلاحظ عليه التردد نتيجة لعدم الثقة بالنفس وكثيراً ما يستغرق فى أحلام اليقظة.

وكذلك قد يرجع الاضطراب الانفعالى إلى عدم قدرة المراهق على الملاءمة مع البيئة التى يعيش فيها، وأن هذه البيئة الخارجية الممثلة فى الأسرة والمدرسة

لا تعترف بما طرأ عليه من نضج ولا تقر برجولته، مما يجعل المراهق يفسر كل مساعدة من والديه على أنها تدخل فى شئونه، ويأخذ الاعتراض على سلوك والديه أشكالاً متعددة منها: العناد والسلبية، كما يرجع هذا الاضطراب إلى عجز المراهق المالى الذى قد يقف ضد تحقيق رغباته، وأنه يجد نفسه وسط جماعة من رفاقه ينفقون على سعة وهو فى نفس الوقت عاجز عن مجاراتهم مما يسبب له الضيق، ويزيد من حدة التوتر الانفعالى له.

ومن هنا: يتضح أن المناخ الانفعالى يلعب دوراً كبيراً فى النمو الانفعالى للمراهق، فالمناخ الانفعالى المليء بالحب والفهم والرعاية ضرورى جداً، بل ومن الأمور المهمة للنمو الانفعالى السوى للمراهق، ويتأثر النمو الانفعالى بالتغيرات الجسمية الداخلية والخارجية والقدرات العقلية والمعايير الاجتماعية.

وقد تصنف مظاهر النمو الانفعالى إلى: انفعالات الخوف مثل (المخاوف الصحية، والمخاوف المدرسية)، انفعالات الحب التى تعتبر من أهم مظاهر الحياة الانفعالية للمراهق، وعلى الوالدين مساعدة المراهق على إشباع حاجته إلى الحب، وعلى أن تتم عملية الفطام النفسى بدون أية صعوبات، وأن يكون المناخ الانفعالى مناسباً.

أما إذا كان المناخ الانفعالى للمراهق ملىء بالصعوبات ولم تساعد الأسرة المراهق فى تحقيق الاستقلال الانفعالى فإن الاضطرابات الانفعالية تكون كثيرة، ويقول «سبير جون إنجلشن: ١٩٥٩م» إن الطفل الذى حقق قدراً كبيراً من التوافق خلال فترة الطفولة سيلاقى قليلاً من المصاعب التى تقابله أثناء المراهقة، أما الطفل الذى لاقى عجزاً فى التوافق خلال فترة الطفولة فإنه سيعانى من الأمراض خلال مراهقته مما قد يسبب له كثيراً من المشكلات.

٣ - النمو العقلى

يتضمن النمو العقلى نمو القدرة العقلية التى تشمل الاستعداد والقدرات الخاصة فتصبح القدرات العقلية أكثر دقة، وتكون التغيرات العقلية فى المراهقة كمية أكثر منها ونوعية وتؤثر إمكانيات البيئة على النمو العقلى للمراهق، كما

تؤثر الوراثة فى وجود الفروق الفردية فى القدرات العقلية لدى المراهقين، وتؤثر أيضًا الوراثة فى تنمية هذه القدرات العقلية، كما أن وسائل الإعلام قد تضيف للمراهقين بعض الأفكار.

٤ - النمو الجنسى

النمو الجنسى له أهميته فى مرحلة المراهقة فيشعر المراهق بالدافع الجنسى فى أوائل هذه المرحلة، ويهتم المراهق بالجنس الآخر، فيتعلق الفتى بإحدى الجارات أو الصديقات وتفعل الفتاة مثل ذلك مع أفراد الجنس الآخر، ويلاحظ أن هذه الاهتمامات الجنسية المبكرة فى مرحلة المراهقة المبكرة تكون قليلة حيث يكون لدى الذكور اهتمام ضئيل بالإناث، وأنه عند العمل فى مجموعات فإن المراهقين يفضلون التجمع من نفس الجنس عن التجمع من الجنس الآخر.

٥ - النمو الاجتماعى

تعتبر المراهقة بحق فترة التنشئة الاجتماعية التى تؤثر فى سلوك المراهق، ويؤدى الانتقال من المدرسة الابتدائية إلى المدرسة الإعدادية ثم المدرسة الثانوية، إلى زيادة الثقة بالنفس، وزيادة النشاط الاجتماعى، ومن أهم المطالب الاجتماعية للمراهق هو العيش مع جماعة الأقران ومحاولة لفت انتباه الجنس الآخر، ويلاحظ أن المراهق فى هذه المرحلة يصر على انتزاع اعتراف عالم الكبار به، ويحاول نفى الصورة الطفلية وفكرة الاعتماد على الأم، ورفض هذا الاعتماد.

(٦) مطالب وحاجات المراهقين

أشار العديد من العلماء إلى حاجات ومتطلبات النمو فى مرحلة المراهقة وعلى الرغم من وجود اختلاف فى تصنيف تلك الحاجات إلا أن هذا الاختلاف يقتصر فقط على الشكل وليس المضمون.

** وفيما يلى عرض لبعض تلك التصنيفات:

توصلت «هيرلوك Hurlock» من خلال أبحاث عديدة إلى أن الحاجات الأساسية للمراهق يمكن تصنيفها إلى ثلاث فئات هى:

(أ) الحاجات العضوية Organic Needs

كالحاجة إلى الطعام والماء والراحة والجنس وهى أمور ضرورية لاستمرار حياة الإنسان وبقائه.

(ب) الحاجات النفسية Psychological Needs

(١) الحاجة للشعور بالأمن النفسى.

(٢) الحاجة لأن يكون مستقلاً غير تابع.

(٣) الحاجة إلى التحصيل أى أن يحقق الفرد شيئًا معينًا.

(ج) الحاجات الاجتماعية Social Needs

(١) كالحاجة إلى الانتماء.

(٢) الحاجة إلى العطف والحب.

(٣) الحاجة إلى الرفاق.

(٤) الحاجة إلى المكانة الاجتماعية.

كما استطاعت «كول Cole» أن تجمع عدة أبحاث أجريت لدراسة مشكلات المراهقين ووفقت بينها، واستخلصت منها الحاجات الإنسانية الضرورية التى تبرز فى فترة المراهقة، وتتضمن قائمة «كول» الحاجات التالية التى يتطلع إليها المراهق وهى:

(أ) الحاجة للمحافظة على الذات وتشمل:

(١) الحاجة للمحافظة على حياته وتجنب الأخطار.

(٢) الحاجة للراحة والاستجمام.

(٣) الحاجة للشفاء من الآلام والأمراض.

(ب) الحاجة للإشباع الجنسى وتشمل:

(١) الحاجة لتكوين ميل نحو الجنس الآخر.

(٢) الحاجة لتقبل النضج الجنسى دون خوف أو زهو به.

(٣) الحاجة للتنفيس عن رغباته الجنسية.

(ج) الحاجة للعطف والقبول من الآخرين وتشمل:

(١) الحاجة لأن يكون محبوبًا من الآخرين ويمتدح من قبلهم.

(٢) الحاجة إلى تكوين أصدقاء يثق بهم ويتحدث إليهم.

(٣) الحاجة للشعور بالأمن فى وسطه الاجتماعى.

(٤) الحاجة للانضمام إلى مجموعات والعمل معها بصورة إيجابية.

(د) الحاجة للمكانة والمركز وتشمل:

(١) الحاجة لأن يمتلك أشياء كثيرة.

(٢) الحاجة لأن يكون له سمعة طيبة.

(٣) الحاجة لأن يحتل مكانة فى العالم.

(هـ) الحاجة للحياة الفكرية والقدرة على الإبداع والابتكار وتشمل:

(١) حاجته للمعرفة.

(٢) حاجته للبحث عن الحقائق.

(٣) حاجته للتعبير عن نفسه وإظهارها.

(و) الحاجة لتأكيد الذات وتنميتها وتشمل:

(١) حاجته لأن يتغلب على عيوبه.

(٢) حاجته للاعتماد على نفسه وتنمية ثقته بنفسه.

(٣) حاجته لإثبات نفسه وتحقيق نزعته للاستقلال.

(٤) الحاجة للعمل من أجل تحقيق هدفه.

وفى هذا الإطار نتفق مع «هيرلوك وكول Hurlock and Cole» على أهمية الحاجات التالية للمراهقين:

(١) الحاجة إلى الأمن والطمأنينة:

وتمثل هذه الحاجة رغبة الفرد فى التخلص من كل المخاطر والتهديدات التى قد يواجهها فى حياته.

(٢) الحاجة إلى المكانة وتحقيق الذات:

وتمثل هذه الحاجة رغبة الفرد فى الاستقلال عن الأهل والاعتماد على النفس.

(٣) الحاجة إلى الانتماء وتحمل المسئولية:

وتمثل هذه الحاجة رغبة الفرد فى الانتماء إلى الجماعة والعمل معها ومن خلالها، فيندمج مع الكبار فيتعرف على حقوقه وواجباته ويتحمل المسئولية المنوطة به.

(٤) الحاجة إلى استغلال أوقات الفراغ:

بصورة أنفع، وتذوقه لعالم الجمال فى الطبيعة والفن والأدب ويمثل هذه الحاجة رغبة الفرد فى إعلاء دوافعه ونوازعه وترقية أحاسيسه ومشاعره.

** وعلى الجانب الآخر، استطاع بعض الباحثين النفسيين والاجتماعيين وضع تصور لأهم حاجات المراهقين على النحو التالى:

(١) **الحاجة إلى المركز والقبول الاجتماعى:**

وهى تتصل بالحاجة إلى الأمن والحاجة إلى الانتماء، والشعور بالأمن يتوقف على وجود علاقات اجتماعية تتضمن العطف والثقة والاحترام، وخاصة من أفراد الأسرة وجماعة الأصدقاء ويتطلب أيضًا التحرر من الإحباط والتهديد، والقبول الاجتماعى الذى يشبع حاجة الفرد إلى الانتماء وبالتالى يحقق له الأمن والاطمئنان، لذلك يجب على الراشدين مساعدة المراهق فى تكوين شخصية متزنة ومعاملته معاملة الكبار وإشعاره بالمسئولية وإحاطته بجو يشيع فيه الوفاء والعطف والتآلف.

(٢) **الرغبة فى الاستقلال والتحرر من الأسرة:**

تظهر الرغبة فى الاستقلال واضحة فى مرحلة المراهقة لأن المراهق يجد فيه تأكيداً لذاته وإثباتًا بأنه قد ترك عالم الطفولة ولم يعد يمت له بصلة ويزداد ذلك الشعور عنده نتيجة التغيرات الجسمية والنفسية، وتظهر رغبته فى الاستقلال فى سعيه الدائب نحو تكوين صداقات مع من هم فى سنه خارج الأسرة ومشاركتهم نشاطاتهم، ويحاول إرغام الكبار على الاعتراف به كرجل، الأمر الذى قد يؤدى أحيانًا إلى الخلاف مع والديه اللذين ينظران إليه كطفل، وواجب الوالدين الابتعاد عن العنف والقسوة والإهمال فى معاملة المراهق ومساعدته على بناء ثقته بنفسه وإعطاؤه حق إبداء الرأى وتدريبه على تحمل المسئوليات وتدبير أموره بنفسه والتعلم من أخطائه.

(٣) **الرغبة فى الاستقلال المادى:**

يتطلع المراهق إلى الاستقلال فى وقت مبكر فيبدأ فى التفكير فى مهنة المستقبل متأثراً فى ذلك بمدى تقديره لذاته واتجاهات مجتمعه نحو المهن المختلفة ويساوره القلق فى اختيار نوع التعليم الذى يحقق له آماله، لذلك يجب على الوالدين والراشدين المحيطين به توجيهه نحو الحياة المهنية التى ينشدها والتى تتفق مع ميوله واستعداداته العقلية، وذلك

من خلال فهمه لذاته ولإمكانياته الواقعية حتى لا يتعرض للفشل الذى يؤثر على ثقته بنفسه وتقديره لذاته ويدفعه إلى السلوك التعويضى غير السوى.

(٤) **الحاجة إلى المثل والمعايير:**

يتجه المراهق إلى تخير مجموعة من القيم والمثل العليا التى يتخذها كمعايير سلوكية يحكم بها على نفسه وعلى غيره من الأفراد وتعتبر الأسرة أول وأهم مصدر لهذه القيم والمعايير فالطفل يتعلمها من خلال علاقاته الأسرية، وفى مرحلة المراهقة يبدأ فى مقارنة ما اكتسبه من الأسرة بتلك القيم والمعايير السائدة فى المجتمع الخارجى ويجب على الوالدين والمحيطين به مساعدته على تفهم المعايير السائدة فى المجتمع كقوانين سلوكية تنظم حياة الجماعة وتوجه سلوكه.

(٥) **الحاجة إلى الفهم الكامل:**

يساعد النمو العقلى للمراهق على الاستدلال والتجريد وحب الاستطلاع ومعرفة أسباب الأشياء وعلاتها ، لذلك يبدأ فى مناقشة ما أخذه فى طفولته كقضية مسلمة ويظهر ذلك واضحًا فى المسائل الدينية التى آمن بها فى طفولته، لذلك يجب على الوالدين إتاحة الفرصة أمامه لكى يناقش ويفكر ويزيل شكوكه بنفسه لكى يعرف أن الشك خطوة أساسية نحو المعرفة الصحيحة.

(٦) **الحاجات البيولوجية والجنسية:**

تعتبر الحاجة الجنسية من أكثر الدوافع فى مرحلة المراهقة ويظهر هذا الدافع فى سلوك المراهق وميوله واهتماماته ويرجع ظهور هذا الدافع إلى النمو الجنسى فى المراهقة حيث يبدأ بشعور غير واضح يتمثل فى اتجاه مشاعر المراهق نحو العواطف الرومانسية، والمثل والقيم الأخلاقية إذا قدمت له بطريقة تخلو من التزمت والعنف، وحتى لا يتورط المراهق فى أنواع السلوك غير السوى، يجب على الوالدين والمحيطين به مساعدته

على صرف الطاقة الانفعالية الناتجة عن الدافع الجنسى بطريقة يقرها المجتمع فى حالات النشاط المختلفة، كالنشاط الرياضى والإبداع الفنى والخدمات الاجتماعية.

ومن ثم، نجد - عزيزى القارئ - أنه أثناء النمو فى مرحلة المراهقة تزداد الحاجة إلى الإرشاد النفسى لمواجهة مطالب وتحديات هذه المرحلة، وإشباع حاجات المراهقين الأساسية ويؤدى إشباع حاجات المراهق إلى تحقيق الأمن النفسى له Psychological Security.

انطلاقًا من ذلك، يتضح أن إشباع الحاجات الأساسية للمراهقين هى الوسيلة الرئيسية لكى ينمو المراهق نمواً سليمًا يشمل كافة أبعاد شخصيته، فعدم إشباع تلك الحاجات بطريقة مباشرة سوية يدفع المراهق للبحث عن البديل، وهنا نؤكد على أنه فى معظم الأحيان يلجأ المراهق إلى طرق غير مشروعة وأساليب غير سوية، حتى يتمكن من إشباع حاجاته، مما يؤدى به فى النهاية إلى: الجريمة، الإدمان، التطرف، الإرهاب، ... إلخ، ولذلك يجب على الآباء والراشدين المحيطين بالمراهق إدراك مدى أهمية وخطورة عدم إشباع حاجاته الأساسية.

(٧) ميول المراهقين

نتيجة للتغيرات الجسمية والاجتماعية التى تحدث فى مرحلة المراهقة، تنشأ ميول واهتمامات ورغبات جديدة، وقد أجريت العديد من الدراسات الخاصة بميول المراهقين من مهنية وقرائية وهوايات وما شابه ذلك، فبينت أن للمراهقين العديد من نفس الميول الخاصة بمرحلة ما قبل وما بعد المراهقة بالرغم من وجود أمثلة محددة لميول خاصة بتلك المرحلة، وهناك علاوة على ذلك اختلافات شاسعة من مراهق إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى.

كذلك تتغير الميول بعض الشىء من جيل لآخر، إذ إن ما يهم المراهق اليوم يختلف فى العديد من الجوانب عما اهتم به المراهق من نفس العمر فى بداية القرن الماضى على سبيل المثال، أو مراهق ما قبل النفط ومراهق ما بعد النفط فى دول الخليج، حيث إن مراهق ما قبل النفط يندر أن نتوقع اهتمامه ببعض الأنشطة كقيادة الطائرات أو العمل فى ورش أو محطات الإذاعة، وبالمثل فإن فتاة ما قبل النفط لا نتوقع ميلها للاشتراك فى الجمعيات النسائية أو العمل فى مهنة التدريس، كما أن ما يبدو غير مهم للمراهقين اليوم قد لا يكون كذلك غداً.

وبالرغم من أن الميول الخاصة تختلف من مراهق لآخر ومن مجتمع لآخر ومن وقت لآخر، فإن هناك ميولاً عامة يمكن أن يقال إنها مميزة للمراهقين، فالفتاة المراهقة على سبيل المثال تكون أكثر ميلاً لأفراد الجنس الآخر من زميلاتها اللاتى لم يصلن لمرحلة المراهقة، وبذا تكون أكثر ميلاً للزينة والكشف عن شخصيتها وأقل اهتمامًا بالمشاركة فى الألعاب والأنشطة التى تتطلب القوة العضلية من زميلاتها فى الفصل واللاتى لم يبلغن بعد، وبالمثل فإن المراهق الذكر تنشأ لديه ميول جنسية تؤدى به إلى الاهتمام بمظهره الشخصى، ولكلا الجنسين تظهر زيادة ملحوظة فى الميول المهنية.

وفى ضوء الدراسات والأبحاث السابقة لاحظت أن هناك العديد من الباحثين أمثال: (Sarhan: 1950)، (Larcebeau: 1955)، (Seidman: 1960)، وآخرين اهتموا بدراسة ميول المراهقين.

وفى هذا الإطار نؤكد على أن أهم ميول المراهقين تتمثل فى الآتى:

(١) الميل الدينى:

ويعد من أهم الميول لدى المراهقين، ويتمثل فى البحث عن القيم الدينية اللازمة للحياة وقراءة الكتب والقصص وصولاً إلى تبنى فلسفة ترشد السلوك وتوجه الحياة.

(٢) الميل للقراءة والمطالعة:

ويتمثل فى قراءة الموضوعات التى تشبع حاجة المراهق للمعرفة والاستزادة لفهم ذاته والعالم من حوله، كذلك يستخدم المراهقون القراءة كوسيلة مهمة من وسائل التسلية فى تلك المرحلة، حيث يبدأ الفتى أو الفتاة فى قراءة القصص الروائية للكبار وكتب الرحلات والتراجم، ولقد لوحظ من الدراسات المختلفة أن قراءة الجرائد والقصص القصيرة تصبح أكثر شيوعًا بين البنين والبنات فيما بعد الخامسة عشرة من العمر.

(٣) الميل للزعامة:

ويتمثل فى ميل المخاطرة والمغامرة لإثبات الذات، كما يتمثل فى تقصى حياة القادة والزعماء والعظماء ودراسة سيرهم وتقمص شخصياتهم.

(٤) الميل للاهتمام بالمظهر الخارجى:

ويتمثل فى الحرص على سلامة المظهر ونظافة الجسم والملبس إشباعًا لحاجته إلى الجنس الآخر، وإبرازاً لدوره من خلال نغمات صوته وطريقة محادثته ومناقشة الآخرين.

(٥) **الميل للمهنة:**

ويتمثل فى الحرص على اختيار مهنة تناسب قدراته وتشبع حاجته إلى الاستقلال والقيام بدوره فى المجتمع.

(٦) **الميل للترويح واللعب:**

ويتمثل فى الاهتمام بالرياضة والألعاب التى تتطلب طاقة جسمية كبيرة، ويصل هذا الميل إلى قمته فى المراهقة المبكرة، كما يتمثل هذا الميل فى مشاهدة الأفلام السينمائية والعروض المسرحية والمباريات الرياضية ... إلخ، هذا بالإضافة للحفلات التى يخططون لها ويقومون بها فى المنازل أو المدارس، أو الرحلات للحدائق والمباريات كمشتركين، وأنشطة اللعب المختلفة فى النوادى والساحات تبعًا لميولهم ومواهبهم، وكذلك تبادل الزيارات وغيرها.

(٧) **الميل لجمع الصور:**

وهذا الميل مميز لصغار الفتيات المراهقات، ولكنه لا يصل لنفس الدرجة بين كبار الفتيات، ويكون ذا أهمية قليلة للبنين وتعتبر مجلات السينما والفن مصدراً غنيًا لهذه المواد.

(٨) مشكلات المراهقين

إذا سارت جميع الجوانب المحيطة بالمراهق بصورة طبيعية وجيدة وكان المناخ الانفعالى مليئًا بالحب، وتمت عملية الفطام النفسى بدون صعوبات، واعترف كل من الأسرة والمدرسة والمحيطين بالمراهق بما طرأ عليه من نضج، وبأنه فرد له ذاتية، وساعدت على إشباع حاجاته، ومتطلبات النمو لديه، فإن فترة المراهقة ستمر بسلام.

أما إذا لم تتم عملية الإشباع لحاجات المراهق ولم تتقبله الأسرة، ولم تعترف بما ظهر عليه من نضج، فإن مرحلة المراهقة ستصبح مليئة بالعديد من المشكلات وتنشأ هذه المشكلات نتيجة لعدم تكيف المراهق.

وقد لاحظت تنوع المشكلات التى يعانى منها المراهقون والمراهقات، فقد قسمها العديد من المتخصصين أمثال: (Lawrance: 1988)، (Kathleen: 1988)، (Milton: 1993)، وآخرون إلى مجالات مختلفة، ورغم تعدد تقسيمات هذه المشكلات إلا أنه قد تتشابه بعض التقسيمات الخاصة بتلك المشكلات، كما أن المشكلة الواحدة لا تقوم منفردة، ولكنها عادة تتصل بمجموعة أخرى من المشاكل.

وفى ضوء تلك التقسيمات المختلفة، نستخلص أهم مشكلات المراهقين على النحو التالى:

(١) مشكلات الصحة والنمو:

وتتضمن نقص الرعاية الصحية، الشعور بالتعب بسرعة والكسل، وجود بعض مظاهر النمو غير المتناسقة، إما بالزيادة أو النقص مثل : كبر الحجم عن المعدل العادى، أو زيادة حجم الأنف بالنسبة لباقى أجزاء الوجه، الإصابة بالصداع، فقد الشهية.

(٢) **المشكلات الأسرية:**

وتشمل الخلافات بين الوالدين أو الانفصال أو الطلاق، التنشئة الاجتماعية الخاطئة التى ينقصها تعلم الأدوار الاجتماعية السليمة، القدوة السيئة داخل الأسرة، وكذلك الاتجاهات الوالدية السالبة التى تشمل: التسلط، التدليل، الإهمال، التفرقة فى المعاملة.

(٣) **المشكلات النفسية:**

ومن أسبابها: صراعات داخلية أو صراعات خارجية، ومن أمثلتها القلق وخاصة فى عصرنا الذى يطلق عليه عصر القلق، الغضب، عدم الثقة بالنفس، العناد، الإهمال، عدم القدرة على تحمل المسئولية، عدم الثبات الانفعالى، الاستغراق فى أحلام اليقظة، الخوف، الخجل، تقلب الحالة المزاجية.

(٤) **المشكلات الاجتماعية:**

وتشمل: قلة الأصدقاء، عدم فهم الآخرين، السلوك الاجتماعى المنحرف كالكذب، السرقة، الهروب، عدم التوافق الاجتماعى، وقد تكون أسباب هذه المشكلات سوء العلاقات الموجهة فى الأسرة.

(٥) **المشكلات الجنسية:**

وتشمل نقص المعلومات الجنسية الصحيحة، مشكلات النمو الجنسى، الرغبة فى أن يصبح أكثر لفتًا لأنظار أفراد الجنس الآخر.

(٦) **المشكلات الدينية:**

وتشمل الحاجة إلى الإرشاد الدينى، الحيرة بخصوص المعتقدات الدينية، عدم إقامة الشعائر الدينية، الصراع بين المحافظة والتحرر.

(٧) **المشكلات الاقتصادية:**

وتشمل العجز المادى الذى يعانى منه المراهق، والإحساس بأنه أقل من زملائه من الناحية الاقتصادية، فلا يستطيع إشباع رغباته فى شراء ما

يلزمه، وقد أوضح بعض العلماء أن المشكلات لدى المراهقين تزداد كلما قل المستوى الاقتصادى للأسرة.

(٨) **المشكلات المدرسية:**

ومن المشكلات المدرسية: صعوبة التركيز والانتباه، ضعف التحصيل الدراسى دون المستوى العادى في مادة واحدة أو أكثر، البطء فى القراءة والتعلم، التوتر، القلق، الخجل، الغياب المتكرر، الهروب من المدرسة، سوء علاقة الطالب بزملائه وأساتذته، تكرار الرسوب، الغش فى الامتحانات، الاستغراق فى أحلام اليقظة، شرود الذهن، قلة الاهتمام بالدراسة، وقد يكون الهروب من المدرسة بسبب كره الطالب للمدرسة، أو لنقص التحصيل الدراسى.

(٩) الجماعات المؤثرة فى المراهقين

(أ) الأســـــرة:

قد تعوق العلاقات الأسرية النمو الانفعالى للمراهق، وقد تساعده فى تطوره وبلوغه النضج المنشود ، فللأسرة أثر مهم فى شخصية المراهق، وتختلف الأسرة من حيث تنظيمها وعدد أفرادها ومن حيث العلاقات الانفعالية بين هؤلاء الأفراد ، وأهم ما يتدخل فى التكوين النفسى للمراهق هو العلاقة العاطفية بينه وبين جميع أفراد الأسرة من الأخوة والوالدين.

والعلاقة بين المراهق وبين والديه، تتدرج من التدليل الزائد إلى القبول إلى الرفض، وتظهر آثار هذه الاتجاهات فى سلوك المراهق، ولكى يكون المراهق سليمًا يتطلب ذلك أن تكون الأسرة سوية يسودها الاتزان الانفعالى والعلاقات السليمة التى تشبع حاجاته إلى: الأمن، الاستقلال، الانتماء.

ويشير «الباحثون النفسيون والاجتماعيون» إلى أن الأساليب التى تتبعها الأسرة مع أبنائها تنعكس على حياتهم، فالفرد المدلل فى أسرته يعجز عن الاعتماد على نفسه، ويتقهقر أمام كل أزمة تواجهه، ويسفر عن ذلك تكيف اجتماعى خاطئ، لأن الأسرة تحقق له جميع رغباته النفسية والتبذير فى الإنفاق عليه، كما أن النبذ للفرد من جانب أسرته يجعله يثور ويميل إلى المشاجرة والمعاداة، هذا أيضًا ينتج عنه تكيف اجتماعى خاطئ وذلك لأن نبذه وتفضيل أخوته عليه يشعره بالحرمان.

وعن الخلافات التى تحدث داخل الأسرة، أرى أنها تنشأ نتيجة لإصرار كل من الآباء والأمهات على معاملة أبنائهم على أنهم ما زالوا أطفالاً، وألا يسلكوا فى حياتهم مسلك الكبار، كذلك رغبة المراهق فى ألا تُفرض عليه أية قيود حتى ولو كانت من الوالدين.

وعلى الجانب الآخر، فالمستوى الثقافى الاجتماعى للأسرة له أثر كبير على سلوك المراهقين وعلى نموهم الاجتماعى، ويختلف سلوك الفرد تبعًا

لاختلاف مستوى أسرته، ذلك لأن كل طائفة من الطوائف الاجتماعية لها أسلوب معين فى الحياة، ونمط خاص فى السلوك، وللبيئة المحيطة بالأسرة أثر قوى على مستوياتها المختلفة، وعلى تحديد بعض نشاط أفرادها، وعلى ذلك فسلوك أفراد الأسرة الغنية نمط يختلف عن سلوك أفراد الأسرة الفقيرة، وترتبط هذه المستويات بالمعايير الاجتماعية وبمدى تفاعل الفرد معها وإيمانه بها، وخضوعه لها أو عزوفه عنها.

(ب) المدرسة:

المدرسة لها وظيفة مهمة فى تدريب العمليات العقلية المختلفة وإعداد المراهق للعمل والمواطنة السليمة، إن المدرسة الناجحة بالنسبة للمراهق هى التى تضع الفروق الفردية موضع اهتمام، كما تؤكد على النمو الاجتماعى والعاطفى بنفس الدرجة التى تؤكد فيها على النمو العقلى، وأهم ما يحدث عند انتقال المراهقين إلى المدارس هو تقليل التفاعل مع الآباء، وهناك مشكلة تواجه الدول اليوم وهى عدم الاستمرارية وتسرب المراهقين من التعليم بما له من مشكلات تعليمية تؤثر على مستواهم الاقتصادى والاجتماعى فى مستقبل حياتهم، ويرتبط التسرب من التعليم بظروف ديموجرافية وعلاقات أسرية وبالرفاق والعوامل الاقتصادية والشخصية.

ولا تختلف المدرسة عن المنزل كثيراً فى عينى المراهق من حيث إنها مصدر سلطة، ومن ثم فهى توفر له فرص نقدها ومعارضتها، فالمدرس يحل محل الأب والواجبات المدرسية لا تختلف كثيراً عن مطالب المنزل ويتمرد المراهق فى المدرسة كما يتمرد فى المنزل، يضيق بالأوامر والقوانين المدرسية ويدخل فى معركة جديدة مع المدرسين الذين يراهم رمز السلطة ومصدر الأوامر.

ومن أهم أسباب تمرد المراهق، هو محاولته المستميتة للدفاع عن ذاته فيرى المدرس سلطة تهدد الذات وهو فى مرحلة اكتشافها وتدعيمها والمحافظة عليها، ومع كل ذلك فإن المراهق لا يضيق بالمدرسة كما يضيق بالمنزل، فهو يحب المدرسة مع ما فيها من نظم وقيود ترهقه فى غالب الأحيان، ولكن فى

المدرسة يكتسب صداقات متنوعة متجددة، وخلال بعض الدروس يكتشف ذاته ويحققها وخاصة خلال دراسة علم النفس والفلسفة وعلوم الحياة، ومع المدرسين يحول مشاعره لاكتشاف الأب الروحى الذى يتفانى فى الإخلاص له.

وتعقيبًا على ما سبق، أرى أن المدرسة من أهم المؤسسات الاجتماعية التى تلعب دوراً خطيراً فى حياة المراهقين، وفى تشكيل مستقبلهم، وتستطيع المدرسة أن تساعد المراهق على تحقيق مطالب النمو، وأن تجنبه الكثير من الصراعات التى تحفل بها هذه المرحلة، كما تسهم المدرسة فى حل مشكلات المراهق، ويتأثر المراهق بعلاقته بمدرسيه، وبمدى نفوره منهم أو حبه لهم، وتصطبغ هذه العلاقات بألوان مختلفة، ترجع فى جوهرها إلى شخصية المدرس، ومدى إيمانه بعمله ومدى فهمه للمراهقين.

(ج) جماعة الأقران:

تحتل جماعة الأقران، مكانة كبيرة لدى المراهقين فهى تؤثر فى تكيف المراهق وإعداده لحياة الاستقلال، وفى سلوكه، فالمراهق فى هذه المرحلة يحاول الاستقلال عن المنزل والأسرة، ويشجعه على ذلك جماعة الأقران، فهى خير متنفس له، فعن طريقها يجد الراحة النفسية التى تخفف عنه عوامل الكبت ويتولد لديه شعور بالولاء والاحترام لهذه الجماعة والرغبة فى الاستحواذ على إرضائها، والاندماج تحت لوائها، وتقبل كل ما يصدر عنها عن طيب خاطر.

والصداقة فى المراهقة، ليست فقط مظهراً من مظاهر النمو الاجتماعى، بل هى أيضًا مظهراً من مظاهر زيادة الشعور بالذات، وهى تدل على رغبة المراهق فى تدعيم موقفه إزاء الراشدين، ولجماعة الأقران أثر كبير على سلوك المراهق الاجتماعى قد يفوق أثر المنزل أو المدرسة.

وفى ضوء ما سبق، نؤكد على أن جماعة الأقران تؤثر تأثيراً مهمًا خلال فترة المراهقة، وهم أفراد يتشابهون فى السن ومستوى النضج، وهم مصدر للمعلومات عن العالم خارج الأسرة، وعلاقات الأقران الجيدة ضرورية للنمو الاجتماعى السوى خلال المراهقة، ويحدث التطابق عندما يتبنى الأفراد اتجاهات

وسلوك الآخرين، والمراهق المهمل يحصل على انتباه ضعيف من الأقران، بينما المراهق المرفوض لا يكون محبوبًا من الأقران، ويتعرض هذا النوع للمشاكل، فالمراهقون المرفوضون يشكلون تجمعات غير سوية، كما أن المراهقين الذين يرتبطون فى صداقة مع من هم أكبر سنًا يقعون فى مشاكل سلوكية.

ومن ثم، ينبغى على الوالدين معرفة أصدقـــاء المراهق وصداقاتـــه حتى لا يقع فى براثن شخصيات مريضة منحرفة فاسدة الخلق تجذبه بنشاطها البراق وتحقق له فرصة القيام بمسئوليات بطولية وتصرفات ضد المجتمع ونظامه، وهو لا يدرى أن هذه الجماعة أو تلك إنما تضر بمستقبله وتهدد أمنه الشخصى، والمراهق يندفع إلى مثل هذه الجماعات إذا فشل فى تحقيق الأمن داخل أسرته وداخل مدرسته.

فى ضوء العرض المختصر السابق، لأهم الجماعات المؤثرة فى حياة المراهقين يتضح أن الأسرة تترك آثاراً عميقة على حياة المراهق، وتصبغها إما يصبغتها الهادئة السوية، وإما المضطربة الشاذة فتميل بها إلى الفساد والمعصية.

كما أن جماعة الأقران، تلعب دوراً كبيراً فى حياة المراهقين فتساعدهم على إشباع حاجاتهم إلى الانتماء، وقد تسلك جماعة الأقران بالمراهق مسلكًا عدوانيًا فتنحرف بنشاطها، وقد تحاط بالغموض والسرية، وقد تميل إلى النشاط العنيف والسلوك المنحرف، وكذلك الفكر المتطرف والسلوك الإرهابى.

كذلك تكفل المدرسة للمراهق ألوانًا مختلفة من النشاط الذى قد يساعده على سرعة النمو، واكتمال النضج، وقد تكون غير ملائمة لنمو المراهق نمواً سليمًا لما قد يكون فيها من علاقات مضطربة من قبل المدرسين والتلاميذ.

(١٠) المراهقون والعلاقات العائلية

يوضح العلماء أهمية العلاقات العائلية فى هذه المرحلة - المراهقة - ومدى تأثر المراهق بهذه العلاقات وبالجو الاجتماعى السائد فى عائلته، فأى مشاجرة تنشأ بين الوالدين تؤثر فى انفعالاته وبتكرار هذه المشاجرات يضار نموه السوى الصحيح ويُعَوَّق اتزانه الانفعالى وقد يثور المراهق على بيئته المنزلية أو يكبت هذه الثورة فى أعماق نفسه ليعانى بذلك ألوانًا مختلفة من الصراع النفسى الذى يقف به على حافة الهاوية، فإما الخضوع وإما العصيان وإما الانقسام على نفسه، وكذلك قد يغضب المراهق عندما يشعر بما يعوق نشاطه ويحول بينه وبين غاياته، وعندما يشعر بالظلم والحرمان وعندما يتأثر مزاجه بالأمور الطبيعية الخارجية.

وفى هذا الإطار نشير إلى مثيرات الصراع بين الآباء والأبناء والتى بدورها تؤدى لاضطراب العلاقات العائلية وتتمثل فى الفروق الفسيولوچية، حيث إن التغيرات الجسمية السريعة عند الشباب تسهم فيما ينشأ من صراع بين الآباء والأبناء وكذلك الفروق السوسيولوچية حيث نلاحظ هذا جليًا فى تصارع المعايير، إذ أعطى التغير السريع للشباب والكبار محتوى اجتماعيًا مختلفًا فأدى إلى معايير متصارعة، ذلك أن التعقيد الاجتماعى أربك المعايير داخل الأجيال وأصبح الآباء نتاج ذلك مرتبكين فى تربيتهم للأبناء، وحين يفقد الكبار قدرتهم على توفير الفهم السليم والدفء العاطفى والتوجيه الناضج للأبناء، حين ذاك يفقد الآخرون قدرتهم على تحقيق التوافق والتكيف وإعادة التنظيم اللازم.

ويضاف لذلك وسائل الإعلام الحديثة حيث تفتح تطلعات الشباب وطموحهم إلى مدى لم يعرفه آباؤهم، بل إن سلطة الآباء فى المجتمعات النامية تشكل عائقًا يحسه شباب هذه البلاد إذ يفتقدون حرية ينعم بها شباب البلاد الغربية ويشاهدونها فى وسائل الإعلام، بدوره يؤدى إلى نوع من القلق

والتشاؤم أو التحدى الناتج عن الحيرة بين التمسك بالتقاليد الوطنية أو النقل عن الدول الغربية المتقدمة صناعياً.

ويضاف لما سبق، الفروق بين الآباء والأبناء والبطء فى عملية التطبيع الاجتماعى، ذلك أن الأجيال الجديدة بطبيعة الحال تخضع ولو مؤقتًا لسيطرة الأجيال القديمة حيث تأخذ عنها وتتأثر بها، والحياة بطبيعتها فى تغير وتبدل مستمرين، والمجتمعات نفسها بأجيالها الجديدة المتلاحقة فى تغير وتبدل أيضًا ولذا يحدث صدام بين الأجيال السابقة واللاحقة.

فالمفاهيم والقيم والعادات والتقاليد تتبدل وتتغير، وأبناء الأجيال الجديدة يجدون أنفسهم مشدودين من جهة إلى قيم مجتمعهم وتقاليده كما يجدون أنفسهم مسوقين إلى الثورة على بعض هذه القيم والتقاليد، وهكذا يحدث صراع بين الأجيال وهو صراع مستمر ومتواصل لأن الجديد لا يلبث أن يصير قديمًا ولذا لا بد من الثورة عليه، فضلاً عن أن بعض الأجيال قد تجمد أكثر من بعض وبعضها الآخر يكون أقدر على فهم أجياله ومسايرتها ولذا فهو يمتص ثورتها.

واستكمالاً للعوامل التى تؤدى لاضطراب العلاقات العائلية بين المراهقين وآبائهم نشير للفروق النفسية والاجتماعية والتى تتمثل فى واقعية الكبار ومثالية الشباب، فالشباب بحكم تكوينهم النفسى والاجتماعى يتجهون إلى رفض المعايير والتوجيهات التى يمارسها الكبار ذلك أن الشباب مولع بالبحث عن كل ما هو مثالى.

ومن ثم وفى ضوء الإطار السابق أرى أن العلاقات العائلية الصحيحة السوية هى التى تساعد المراهق على اكتمال نموه ونضجه الانفعالى والاجتماعى... إلخ، وتسير به قدومًا نحو مستويات الاتزان الانفعالى والوجدانى وتهيئ له جواً نفسيًا صالحًا لنموه.

(١١) المراهقون والسلطة الوالدية

العلاقة مع السلطة تنشأ أول ما تنشأ فى علاقة الفرد بالوالدين داخل الأسرة، وهذه العلاقة بما تمثله من أنماط اجتماعية وثقافية وتاريخية للمجتمع الذى يعيش فيه الفرد، يبدأ فى تكوين ملامح هذه العلاقة التى تشكل مستقبلاً تعامُل الفرد مع رموز السلطة فى المجتمع وشكل هذا التعامل من: خضوع - عصيان - طاعة - تمرد، كل هذا يحدث فى علاقة الفرد مع والديه بما يمثلانه من السلطة الوالدية التى تعتبر النموذج لكل أنواع السلطة بعد ذلك.

ومن وجهة نظر التحليل النفسى فالعلاقات مع الوالدين سابقة على العلاقات مع أى ممثل آخر للسلطة وعلى ذلك فإن اتجاه العلاقة مع: الحاكم - الرئيس - المدرس ... إلخ، تميل لأن تصاغ على غرار العلاقة مع الوالدين.

وعلى سبيل المثال وكأحد أشكال رفض السلطة الوالدية، قد يفشل الأب فى أن يحترف مهنة كان يحبها ويتمناها لنفسه فيدفع ابنه للوصول به إلى العمل الذى كان يحبه لنفسه وقد لا يتفق مثل هذا العمل مع ميول الفتى واستعداداته، فتنشأ كثير من المشكلات والعوائق النفسية فى فترة أحوج ما يكون فيها المراهق للتوجه السليم وهنا قد يعلن المراهق أن اختيار المهنة مسألة شخصية تخضع لميوله ورغباته.

ولا شك أن اختيار المهنة على أساس ميول ومستوى طموح المراهق له علاقة كبيرة بقدرته على ملائمة نفسه اجتماعيًا وتقدمه فى الحياة، فالمراهقة فى وقفتها ضد مجتمع الكبار ترفع الاستقلالية فى وجه الاستقلالية التى كانت حكراً على الكبار، وترفع الثقة المطلقة بالذات فى وجه الثقة التى كانت حكراً على الكبار وتتناقض فى مضمونها الفكرى وفى اتجاهاتها التصورية مع الحياة الفكرية التصورية لمجتمع الكبار.

ويؤكد «روبرت جريندر Robert Grunder» على أن علاقة الصغير أو الكبير بالسلطة هى علاقة بالذات العليا أو الضمير «Super ego» التى نشأت أصلاً من سلطة الوالدين أو من يقوم مقامهما فى المنزل أو المدرسة أو العمل، والمضطرب مع السلطة يفصح عن وجود عدوان مكبوت ضد الوالد وسلطته والتى نشأت عن فعل الصراع والنمو غير السليم فى الموقف الأوديبى، ولما كان توجيه هذا العدوان نحو الأب وهو المصدر الأصلى لهذه السلطة أمراً محرمًا وغير مقبول من القيم والمعايير الأخلاقية والاجتماعية، ولما كان من الضرورى لهذه الطاقة النفسية من التصريف لذلك ينتقل هذا العدوان وتزاح تلك الكراهية عن شخص الوالد وتوجه فى صورة ثورة وتمرد وعدوان على ما يمثل سلطة الأب وقيوده أو ما يرمز إليه، كالمدرسين ورجال البوليس ورؤساء الأعمال وكافة المعتقدات التى كان الوالد يعتنقها أو يدافع عنها أو يفرضها على ابنه.

وهنا نشير إلى أشكال السلطة الوالدية والتى تتمثل فى الآتى:

(١) الشكل الاستبدادى:

مناخ أسرى يغلب عليه النزعة الاستبدادية من جانب الآباء فى كل ما يتعلق بالأبناء من أمور وقضايا دون أن يكون للأبناء حق إبداء الرأى فيما يراه الآباء أو الاعتراض عليه.

(٢) الشكل الديمقراطى:

مناخ أسرى يحرص فيه الآباء على توضيح مغزى تصرفاتهم أمام الأبناء ويرحبون بالحوار والتعايش معهم فى كل ما يعيشون فيه أو يتعرضون له من مواقف وخبرات.

(٣) الشكل الفوضوى (التساهلى):

مناخ أسرى يتخذ فيه الآباء مواقف اللامبالاة من الأبناء دون أن يكون للآباء دور واضح فى تيسير دفة أمور الحياة فى الأسرة، بل يتخذ كل

عضو فى الأسرة قراراته بنفسه ووفق ما يتراءى له دون أن يأخذ فى اعتباره ما يمكن أن يترتب على هذه القرارات من عواقب.

والاتجاهات الثلاثة السابقة، تعنى منظوراً خاصًا ينظر من خلاله الوالدان فى معاملتهما للابن وهذا المنظور نتاج بيئة عاشا فيها وثقافة ربيا عليها بكل ما تحويه هذه الثقافة من قيم وعادات وتقاليد، ومن ثم فإن منظورهم هذا يختلف عن منظور الأبناء بكل المقاييس.

والمراهقون يودون أن يتخلصوا من سيطرة آبائهم، ومن ناحية أخرى يعبرون عن حاجتهم إلى توجيه وإرشاد من جانب آبائهم وفى الواقع إنهم يريدون الأمرين معًا: الحرية وتوجيه الآخرين لهم، إنهم يودون لو عوملوا كما يعامل الكبار، وليس كما يعامل الأطفال وفى الوقت نفسه يؤيدون الاحتفاظ بعلاقة وثيقة مع أسرهم وهذا أمر طبيعى فى هذه الفترة التى ينتقلون فيها من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة أو الأنوثة، وهذا التناقض والصراع بين الاعتمادية الطفلية وبين الرغبة فى الاستقلال وإثبات الذات والتعارض بين الذى يريده المراهق والذى يريده الكبار يدفع المراهق إلى اللجوء إلى العنف من أجل الاستقلال.

وتتم العلاقات الاجتماعية للشباب بنوع من الهامشية فهم قد تخطوا مرحلة الطفولة ويحرصون على نفى انتمائهم إليها ولكنهم لم يُقْبَلوا بعد كأعضاء كاملى العضوية فى جماعة الكبار، وتتسم مشاعرهم واتجاهاتهم نحو الآخرين بشىء من التوزع؛ فهم موزعون بين الطاعة لعالم الكبار والتمرد عليه وانتفاضة البزوغ للكيان الجديد تكون فى نفس الوقت انتفاضة فى وجه جيل الآباء، ففى هذه المرحلة يبدأ الشباب فى الإحساس بسلطة الأسرة والمجتمع فالشباب فى هذه المرحلة يقفون من جيل الآباء موقف القوى المضادة فيعتنقون نقيض فلسفاتهم وأفكارهم.

وحول مشاركة المراهق مع العالم الذى يعيش فيه، نجد أن جماعات الأقران تقوم بدور له أهميته فى حياة أعضائها المراهقين، فهى تتيح لهم

إمكانية العثور على دور يقومون به وتساعدهم فى هذه الفترة المضطربة على التحرر والاستقلال إلى حد ما عن الأسرة، كما أنها تعلمهم أو تكسبهم المهارات والصفات الاجتماعية المطلوبة للمشاركة فى حياة الجماعة، وعلى هذا النحو يقوم الأقران أو رفقاء السن بدور مهم فى حياة معظم المراهقين ويتميز دورهم فى هذه المرحلة بأهمية أكبر مما كان عليه فى مرحلة الطفولة.

وعملية التحرر - فى مرحلة المراهقة - من أجل الوصول إلى الحرية تأخذ فى بدايتها شكلاً سلبيًا يتمثل فى الرفض واستعمال العنف فى ذلك وتتدرج شيئًا فشيئًا إلى أن تأخذ الشكل الإيجابى وفقًا لدرجة نمو المراهق وتعامله مع ذاته ومع الآخرين فى إطار اجتماعى وثقافى معين، ووفقًا لاكتسابه القدرة على الرفض والتقبل فى نفس الوقت والقدرة على الاختيار وعلى أن يعلو على ذاته وأن يعمل على تحقيق القيم والتوافق بين ذاته وبين الله.

وتعقيبًا على ما سبق ذكره، نشير إلى أن استجابة الفرد للسلطة كأى سلوك اجتماعى آخر له أسسه العميقة فى سنوات التنشئة فأول سلطة يلتقى بها الطفل فى حياته هى السلطة الوالدية يخضع لها ويعتمد عليها فى تلبية احتياجاته الأولية.

وبعد ذلك يتكون لديه مجموعة من وسائل الاستجابة لهذه السلطة التى تختلف أشكال التعامل معها باختلاف المواقف والظروف فتكون أساليب الخضوع والمقاومة والطاعة والعصيان، تنشأ جميعها من ردود الأفعال التى تتكون حول السلطة الوالدية كما تنشأ هذه الأساليب أيضًا من خلال أنماط مختلفة من التعامل مع السلطة الوالدية.

فالطاعة مثلاً تنشأ من خلال نظام صارم وحازم كما أنها تنشأ أيضًا من خلال العطف والحب وفى بعض الأحيان تنشأ نتيجة الغضب والعقاب للطفل من الوالدين، ولكن يؤثر ذلك فى نوع الطاعة وفى محتواها أيضًا فطاعة العقاب تختلف عن طاعة الحب، فالأولى تصل إلى حدود الخضوع نتيجة الخوف من

العقاب أو حتى التهديد باستخدامه، أما طاعة الحب فيكون أساسها هو العلاقة بين مصدر السلطة والفرد.

أيضًا تختلف أساليب المقاومة فالطفل الذى نشأ بين والدين مسيطرين متحكمين تختلف ثورته ومقاومته لمصدر السلطة عن الطفل الذى تربى على الاستقرار وتعود الوقوف أمام السلطة، فالثورة والمقاومة فى الحالة الأولى تختلف فى الشكل وأسلوب التعبير عنها فى الحالة الثانية، وهكذا تختلف وسائل مواجهة السلطة بين الأطفال نتيجة لاختلاف مصادر السلطة أيضًا.

فالأسلوب الذى يتعلم به الطاعة يؤثر فى طريقة مقاومته، وخبراته فى المقاومة تؤثر فى شكل طاعته، فالطفل ينتقل اتجاهه نحو مصدر السلطة الأبوى إلى الكبار الآخرين، ففى المدرسة ينظر إلى سلطة المدرس باعتبارها امتدادا لسلطة الأب وهكذا رموز السلطة فى المجتمع.

وبجانب الشكل الاستبدادى للسلطة الوالدية والذى يراد به فرض الوالدة أو الوالد رأيه على ابنه ويتضمن ذلك الوقوف أمام رغباته التلقائية أو منعه من القيام بسلوك معين، وهما يستخدمان أساليب متنوعة فى ذلك تختلف خشونة ونعومة كألوان التهديد المختلفة من خصام أو ضرب أو حرمان.

يوجد شكل آخر للسلطة وهو الحماية الزائدة، ويقصد بها القيام نيابة عن الابن بالواجبات أو المسئوليات التى يمكن أن يقوم بها والتى يجب تدريبه عليها حتى تتكون عنده شخصية استقلالية، وحماية الآباء الزائدة ما هى إلا تعبير عن القلق والمخاوف التى تبدو أنها تتمركز فى معاملة الابن، والحماية الزائدة قد تكون زيادة للتدليل ولهذا آثاره على شخصية الابن ومن هذه الآثار الأنانية وعدم القدرة على تحمل الإحباط، ورفض السلطة وعدم الشعور بالمسئولية والإفراط فى الحاجة إلى انتباه الآخرين، وقد تكون الحماية الزائدة تسلطًا وهى أيضًا تترك بصماتها الواضحة على شخصية الابن ومن هذه البصمات الاستسلام، عدم الشعور بالكفاءة، نقص فى المبادأة، الميل إلى الاعتماد الكلى السالب على الآخرين.

فالأساليب المختلفة للتنشئة الاجتماعية تؤثر فيما بعد على التعامل مع السلطة فنجد من الشباب من ينصاع لأوامر السلطة انصياعًا تامًا ومن يتمرد عليها تمرداً تامًا ومن يقف بين التمرد والخضوع.

* وفى ضوء ما سبق ذكره، نشير إلى الخصائص التى تميز السلوك الشبابى تجاه السلطة والتى تتمثل فى الآتى:

أولاً: اتجاه الشباب إلى رفض الأوضاع ليس فقط نتيجة نقص الخبرة مما يمنع من التقييم السليم ولكن أيضًا لأن طبيعة الشباب أساسها الحركة والانطلاق دون أى قيود تفرضها هذه الأوضاع ومن هنا لا يقبل الشباب الخضوع للسلطة الحاكمة وقراراتها دون مناقشة.

ويجب أن نذكر أن القلق والاضطراب اللذان يصيبان الشباب نتيجة مشكلة الهوية عادة ما يدفعهم إلى التمرد والرفض للنظام القائم وهو ما يعكس فى أحد أبعاده الصراع الحاد بين الأجيال ومع رغبة الشباب فى تمييز أنفسهم عن الجيل القديم، فإنهم ينحرفون عن المبادئ والقواعد السائدة فى عالم الكبار ويحاولون تطوير المفاهيم والقواعد الخاصة بهم وقد توصف ثقافة الشباب ويتحدد جوهرها فى رفض الوضع القائم والثورة عليه.

ثانيًا: يرتبط برفض الأوضاع القائمة، ما يتصف به الشباب من خيالية ومثالية نتيجة لانعدام المسئولية، ومن هنا ينبع رفض المهادنة فى المسائل المتعلقة بالمبادئ، ومن هذه المثاليات التى يؤمن بها الشباب المساواة والعدل والحرية وغيرها ، ومن هنا يميل الشباب إلى الهجوم الساخر على كافة الأوضاع القائمة، ومن هنا أيضًا نفهم مساندة الشباب للحركات السياسية العنيفة التى تصبغ بصبغة المثالية، فالشباب قد يتلقون الموت على أن يقف الواحد منهم عاجزاً عن الرد على ما تتعرض له أحلامه ومثالياته من انتهاك.

ثالثاً: الصفة الثالثة المميزة لسلوك الشباب هى الميل إلى المطابقة بين السلوك والقيم، فالشباب لا يعرف سوى أن هناك عدواً أو صديقًا أبيض أو أسود ، وهو لذلك يجعل من القيم حقيقة مطلقة ويرتبط بذلك صفة الإسقاط بمعنى الاستعداد الدائم لاتهام الآخرين واتهام الجيل السابق بالجبن واتهام النظام القائم بالفساد وعدم الصلاحية وخيانة الأهداف القومية، بل هو على استعداد لاتهام الآخرين بنفس عيوبه بحيث يسقط عيوبه على الآخرين.

(١٢) المراهقون والصراع القيمى

كثيراً ما يخرج الشباب إلى المجتمع حاملين بعض القيم التى قد تكون قيمًا مثالية وعادة ما يكونون قد اكتسبوا هذه القيم من الكتب التى قرءوها أو من بعض المعلمين الصالحين الذين قابلوهم فى حياتهم أو من العظات التى استمعوا إليها من الآباء ورجال الدين أو من خلال اطلاعهم على الكتب الدينية وغيرها ، ولكن بعض هؤلاء الشباب قد يصدمون عندما يجدون تعارضًا بين القيم المثالية التى تبنوها وبين ما هو سائد فى المجتمع وما يتبناه الأفراد الكبار فى هذا المجتمع وهذا يوقع الشباب فى قدر كبير من الارتباك والحيرة والقلق والصراع النفسى.

ويزداد الاضطراب النفسى للشباب والمراهقين عندما يرون أن القيم المتعارف عليها لا يتبناها بعض من هم فى مراكز السلطة وكذلك الآباء والمدرسون والقادة والإداريون، من هذا المنطلق يفقد الشباب القدوة والمثل فى هذه الحياة المضطربة التى يعيشها.

ويعد ذلك نتيجة طبيعية حيث يعيش المجتمع المصرى مرحلة ثورة اجتماعية وثقافية يصاحبها تعارض فى المعايير والأفكار، وهذا شىء عادى نتيجة ما يحدث من تغيرات سريعة وهذا بدوره ينعكس على جهاز القيم اهتزازاً أو انقلابًا فالتغيرات الاقتصادية الجديدة والأفكار الحديثة تتصارع مع التقاليد القديمة، فضلاً عن الاتصال بالجماعات الأخرى مما يتيح الفرصة لإدخال قيم جديدة تناسب بعض الأفراد ولا تناسب البعض الآخر مما ينتج عنه عدم اتساق بين المؤسسات الاجتماعية.

وقد تستخدم القوة للحصول على الانسجام وتصبح السيطرة الاجتماعية أمراً شكليًا وماديًا أكثر منها أمراً معنويًا غير مقصود والذى يقارن الحياة العامة فى مصر منذ الحرب العالمية الأولى وللآن يدرك أبعاد هذا التغيير، إذ

دخلت إلى المجتمع تقاليد غريبة عنه لم يتقبلها طوال عهده بها غير أنه سرعان ما تفاعل معها وكان لذلك كله أثره فى النهاية على الشباب.

ويشير «زكى نجيب محمود» فى هذا الصدد إلى أن الأجيال المتعاقبة، فى حالة من الصراع الذى لا ينتهى، فالجيل اللاحق يسخط على الجيل الذى يسبقه ويريد أن يفلت من معاييره وأحكامه ولا يبقى من سلفه إلا البقايا التى تمسك على الأمة تاريخها، فالشباب فى أى بلد أقوى ارتباطًا بالشباب فى سائر البلدان منه بالشيوخ فى بلده، حيث إن الربط بين الشباب جميعًا يعتبر رابطة زمنية قوية أقوى من الرابطة المكانية بين الشيوخ والشباب، ويؤكد على أن الصراع بين الأجيال يتجلى فى أوضح صوره حين تشتد قبضة التقاليد على رقاب الناس فتضيق النفوس بهذه القيود وينفجر الشباب ساخطًا غاضبًا محاولاً تغيير ما هو قديم.

وبناءً على هذا، يجب أن يوضع فى الاعتبار ذلك الافتراض المهم القائل بأن رفض الشباب لقيم ومعايير الكبار هو ظاهرة معقدة يتعين دراستها من زوايا متعددة كما يجب فى الوقت نفسه أن تدرس اتجاهات الكبار نحو قيم الشباب ومبلغ رفضهم أو قبولهم لها، وذلك بهدف تخفيف حدة الصراع بين الأجيال السابقة واللاحقة من ناحية، وتخفيف معاناة الشباب والمراهقين من الصراع القيمى من ناحية أخرى.

وحول عوامل الصراع القيمى يشير البعض إلى الجهاز التعليمى كأحد عوامل الصراع القيمى لدى المراهقين حيث إنه بالرجوع إلى الجهاز التعليمى نجده لا يقوم بدوره الكافى لعاملين رئيسيين فيه يعملان على إثارة الصراع القيمى لدى الشباب وهما:

الأول: معلم غير كفء.

الثانى: منهج غير وافٍ بحاجات المتعلم المختلفة وخاصة من الناحية الدينية والخلقية.

وهنا يشير «الباحثون التربويون»، إلى أن الدراسات المجراة حول مشكلات المجال المدرسى أوضحت أن المدرسة تحتاج إلى إصلاح فالنظام المدرسى والمدرسون يشكلون عقبة كبيرة فى سبيل نمو الطالب نمواً سليمًا، كما أن المادة الدراسية لا ترتبط بالحياة اليومية للمراهقين ولا تشبع حاجاتهم الثقافية.

كما يرى «التربويون»، أن علل التعليم تتمثل فى عدم وجود فلسفة واضحة تحدد القيم والمبادئ التى يقوم عليها والأهداف التى يسعى إلى تحقيقها والعلاقة بينه وبين المجتمع، فضلاً عن أن هذا التعليم يعانى من تيارات متصارعة تظهر فى صور متعددة، كالفصل بين العلم والعمل، والفصل بين الثقافة والإنتاج، والكم والكيف والثنائية بين التعليم الدينى والمدنى.

ومن أمراض الجهاز التعليمى عمومًا النظريات المستوردة غير الملائمة وما ينتج عنها من تجريد الشباب من الروح الدينية وما يخلفها من إحلال النفعية وتقديس المادة، والمعروف أن مادة الدين فى المدارس الإعدادية والثانوية لا تزيد عن حصتين فقط، والحصة قد تكون آخر الجدول اليومى حين يبلغ الإجهاد عند المدرسين والطلاب مداه أو تكون وسطه أى فترة راحة بين مشقتين، هذا إن شرح المدرس وأصغى الطالب ولم ينشغل كلاهما بعمل خارجى، ومع الإهمال أثناء الدراسة يكون التساهل آخر العام، فقل أن يرسب طالب فى مادة الدين، والطالب يتلقى فى دروس الدين مبادئ وأحكامًا ثم يجد ما يناقضها فى مادة أخرى، وهو بينهما لا يستطيع أن يحدد اتجاهاته.

ومما يزيد الأمر خطورة، أنه فى المدارس الثانوية يودع الطلاب مادة الدين، فآخر عهدهم بها تلك الحصص التى تلقوها وكانت عبئًا ثقيلاً عليهم، أما فى الجامعة فلا مجال لمادة الدين، ومن ناحية أخرى فمادة الدين ليست مادة رسوب كما أنها لا تضاف إلى المجموع الكلى، وهذا ليس قاصراً فقط على المرحلة الثانوية وإنما أيضًا المرحلة الإعدادية، من هذا المنطلق لا يهتم الطالب بتلك المادة على الرغم من أهميتها الكبيرة وإنما يفضل عليها مادة أخرى لها وزنها فى تحديد مستقبله العلمى، ومن هنا يعانى طلاب المرحلة الثانوية من الأمية الدينية.

واستكمالاً لعوامل الصراع القيمى، يعد الإهمال أحد مظاهر الصراع القيمى فى المجال الأسرى، ويراد به ترك الابن دونما محاسبته على السلوك غير المرغوب، وهذا أخطر الاتجاهات ذلك أن أحد الوالدين أو كليهما فى إهماله الابن إنما يحرمه من تنشئة اجتماعية سوية محتواها عملية تعلم وتعليم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعى وتهدف إلى اكتساب الفرد طفلاً فمراهقًا فراشداً فشيخًا سلوكًا ومعايير تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعى معها.

ومن ناحية أخرى، فقد كشفت دراسة «روكيتش» للبناء القيمى فى مرحلة المراهقة والرشد أن قيمة الإنجاز تمثل أهمية كبيرة فى البناء القيمى لدى المراهقين ويرجع ذلك إلى الضغوط التى يمارسها الآخرون فى البيئة المحيطة بهم والدافع نحو التحصيل وخفض القلق وحل الصراعات، وتحقيق الذات والحصول على التقدير والمكانة فى إطار المجتمع الذى ينتمى إليه المراهق.

وبمعنى آخر، فالمراهق يسعى إلى الإنجاز فى ظل مناخ يتسم بالتفرد والاستقلال، فنضج الطالب عقليًا يمكن أن يساهم فى مناقشة نسق القيم وتحليله من أجل تدعيم ما ينبغى تدعيمه، والتخلى عن القيم السلبية التى دعمت مثل التواكل والسلبية والتعصب فى التفكير، ويتطلب هذا أن يصبح الهدف الأساسى فى تلك المرحلة العمل على تدريب الطلاب على التفكير والقدرة على الجدل العقلى والمناقشة والحوار الديمقراطى من خلال طرح المشكلات الفلسفية المختلفة.

وسواء كان الصراع القيمى، نتاج عامل ذاتى أو بيئى (الأسرة - الجهاز التعليمى - وسائل الاعلام - ... إلخ) فقد زاده أو عمقه الانسياب الفكرى بين المجتمعات إذ تحتل المنتجات الالكترونية مكانًا بارزاً فى مجال الاتصال فلا يوجد عائق، مما جعل الزمان والمكان ليسا بحاجزين.

ومن ثم، حدث الاتصال بين شباب العالم أجمع وكانت همزة الوصل بينهما هى «أزمة الشباب»، وهذه الأزمة تختلف باختلاف المجتمعات المتقدمة

منها والنامية وهى أقل عندنا فى الكم وإن لم يكن فى الكيف، إلا أن الثورة فى نفوس الشباب الشرقى هى نفس الثورة وإن كانت مكبوتة ومظاهرها محدودة، ولكن تأثيرها فى النهاية ليس بالأمر الهين.

وفى النهاية، فالصراع القيمى الذى يعانى منه الشباب والمراهقون، هو صراع بين ما تعلمه الشاب أو المراهق فى طفولته وآمن به من مبادئ وقيم، وبين ما يمارسه الكبار وممثلى السلطة من حوله فى الحياة اليومية مما يناقض هذه المبادىء والقيم ويؤدى ذلك إلى وقوع الحيرة والشك فى نفس المراهق.

(١٣) المراهقون والدين

التدين استعداد فطرى وشعور بالحاجة إلى الخالق، لذلك فالفرد يؤمن فى طفولته بالشعائر والطقوس الدينية المختلفة غير أنه فى مراهقته يتخفف كثيراً من هذا الإيمان الشديد ويتجه بعقله لمناقشتها وفهمها والكشف عن أسرارها وبهذا قد ينحدر به الشك إلى الصراع، فهو يميل إلى التحرر الفكرى ليعالج به كثيراً من الموضوعات النظرية العقلية المجردة، ويمحص بفكره المعتقدات الدينية والتقاليد الأخلاقية والسياسية والعلاقات الإنسانية ... إلخ.

أى أن ظاهرة الشك الدينى تبدأ فى فترة المراهقة لأن الشاب خلالها يبحث عن حقيقة ذاته ويتساءل عن المجتمع الذى حوله ويبحث عن تفسيرات لكل الظواهر التى تلفت نظره أيًا كان نوعها، ولإثبات ذاته يجنح إلى كل ما هو غريب فيشكك فى كثير من القيم ويتساءل فى استهتار عن قيمة هذا الشىء وهدفه وجدواه مما يثير انفعال المحيطين به وثورتهم عليه وهذه المجادلات التى يثيرها لا يكون استعداده مناسبًا لها لقلة خبرته وضعف قدرته منطقيًا وجدليًا، ومن ثم يكون فريسة سهلة لذوى الأغراض الذين ينتهزون فرصة إقباله على الأبحاث الدينية.

انطلاقًا من ذلك فقوى التدين تعنى أسلوب الفرد فى ممارسة العقيدة الدينية وهى قوى معنوية استمدها الفرد من المجتمع منذ طفولته بشكل معين يتناسب مع هذه المرحلة الضعيفة من الحياة، وظلت تنمو فى نفسه تدريجيًا حتى أصبح لها ثقل جديد فى فترة المراهقة.

فاستجابة لنظام القيم البارزة فى ثقافة المجتمع يستحدث العقل فى هذه الفترة الحرجة من النمو منشأة جديدة هى قوى التدين لمواجهة ما استجد على البدن من تغيرات ودوافع جديدة وبخاصة الدافع الجنسى والدافع العدوانى، ومظهر هذه القوى فى اصطدامها بالدافع الجنسى ما يسمى باليقظة الدينية

أو الحماس الديني المفاجئ على الشخصية والذى نشاهده كثيراً بدرجات متفاوتة على المراهقين.

والشعور الديني فى المراهقة عامل قوى فى تغيير مثيرات واستجابات المراهق الانفعالية إذ إنه فى هذه المرحلة تقل نسبة ممارسته للعبادات المختلفة ولكن سرعان ما يعود إليها إذا مرت به أزمة ثم تفتر عزيمته عن العبادة بعد انتهاء تلك الأزمة.

فظاهرة تذبذب الإيمان فى هذه المرحلة ترجع إلى اتصاله بنوبات الشعور بالذنب حيث إن المراهقة فترة انبعاث للدافع الجنسى الأمر الذى يجعله بمثابة خطر يؤثر على كافة المعايير والمثل التى تخضع لها حياة الفرد، وحيث إن الشعور بالذنب ليس بقوة واحدة فى جميع الظروف فإنه يخفت حينًا ويشتد حينًا آخر، وفترة الاضطراب هذه تعد من أشق الأوقات على صاحبها إذ تبعث فى نفسه الضيق والكآبة فإذا اشتدت واستمرت قد تسبب الانتحار أو الجنون وأحيانًا تأخذ بيد صاحبها إلى التصوف.

وفى هذا الإطار نشير إلى الشعور الدينى لدى المراهق على النحو التالى:

(١) فى موضوع صفات «الله» نجد أن المراهقين يرددون صفات «الله» فيتحدث المراهق المسلم عن الوحدانية والقدرة والقوة والجبروت والانتقام من الظالمين كما يحاول تجريد ذات «الله» عن التشبيه والتجسيم ويشتغل المراهق بالصفات والأفعال أكثر من الاشتغال بالشكل والصورة.

(٢) إن شعور المراهقين نحو «الله» شعور فيه مزيج من حب «الله» وخشية «الله» والخوف من «الله»، كما يستند شعور المراهقين إلى التقلبات الانفعالية السريعة التى تعترى المراهقين وبخاصة فى النصف الأول فى فترة المراهقة.

(٣) يقبل المراهقون على ممارسة العبادة ويتصورون مسألة الثواب والعقاب، والجنة والنار، كما يتصورون الشيطان والملائكة وبصرف النظر عن كيفية هذا التصور، فإن الإيمان بالغيب جزء من العقيدة الإسلامية.

(٤) تصورات المراهقين عن «الله» ترتقى حتى تصبح فى النصف الثانى من مرحلة المراهقة ضرورة كونية، فتصور المراهق عن «الله» فرع من تصوره للكون.

(٥) إن المراهق فى وسعه أن يتأمل فى الموت من حيث هو مصير الناس جميعًا ومن حيث هو ظاهرة كونية ضرورية ولا يقف عند حد تعميمه على الناس جميعًا، بل يتعدى ذلك إلى تعميمه ليشمل جميع الكائنات.

(٦) إن المؤمنين بالله يجدون فى عقيدة العالم الآخر بديلاً عن الحياة الأرضية المليئة بالمتاعب.

(٧) ويميل المراهق إلى التضحية ولو أدى ذلك إلى الموت فى سبيل مبادئه ومُثله.

وعلى الجانب الآخر، نشير إلى تعدد الاتجاهات الدينية لدى المراهقين فهناك المؤمن إيمانًا تقليديًا وهناك المتحمس دينيًا فمنهم الشاك ومنهم الملحد وإن كانوا نسبة ضئيلة، بجانب ذلك اتجاه المراهق إلى الله، فالمراهق كثير التعلق «بالله» ليستعين به فى إعلاء غرائزه، ويصل المراهق فى نهاية هذه المرحلة إلى الرشد الدينى وبذلك ينضج دينيًا وخاصة إذا تضافرت وسائل التثقيف فى المجتمع من أجل الوصول إلى هذا الهدف.

انطلاقًا مما سبق، يتضح أن مرحلة المراهقة من المراحل المهمة فى حياة الفرد الدينية فهى مرحلة التشكك فيما تَقَبَّله فى مراحل حياته الأولى كما أنها مرحلة النقد والتمحيص للأفكار الدينية التى تقبلها عن طريق الحفظ والتلقين فتحتاج إلى اقتناع عقلى لما يعرض على الأفراد من عقائد دينية، كما يؤثر ما لدى الفرد من خبرات دينية على هذه المرحلة من تعاليم دينية.

وتعتبر هذه المرحلة مرحلة المثالية والمكانة الاجتماعية والشعور بالذات، كما أنها مرحلة تبنى القيم والمعتقدات الدينية التى تمكنه من مواجهة المختلفين عنه دينيًا بما لديه من حجج وبراهين وأدلة عقلية.

والجدير بالذكر أن تلاميذ كل من المرحلتين الثانية من التعليم الأساسى (الإعدادية) والمرحلة الثانوية يعيشون فى مرحلة المراهقة (١٣ - ١٨ سنة) وهى مرحلة تحتاج إلى ما يقوى وعيهم الدينى ويثبت عقائدهم بمزيد من الفهم المستنير والتحليل الدقيق والتعليل الواضح السليم وتوضيح العلاقة بين الدين فى فترة المراهقة ومتطلبات تلك المرحلة، حتى يمكن بيان أهداف تدريس التربية الدينية فى المرحلتين الثانية من التعليم الأساسى (الإعدادية) والثانوية.

وفترة المراهقة من أهم الفترات فى حياة الشخص لدى معظم المذاهب الدينية لأنها مرحلة البلوغ ووقت الاستيقاظ، وفى هذه الفترة تعتبر العقيدة المكتسبة عقيدة شخصية، كما ترى بعض الديانات أنها الفترة التى يصبح فيها الشخص الصغير «الحدث» ناضجًا لاعتناق عقيدة أو أنه مستعد لأن ينغمس فى العقيدة الدينية باعتناق حقيقى أكثر مما كان يبديه وهو طفل وأكثر انطباعًا لديه من المرحلة السابقة.

وفكرة المراهق عن الدين هى فكرة تأملية منطقية فالمراهق يفحص الأفكار والمبادئ والقيم الدينية التى تلقاها فى طفولته، ومن ناحية أخرى يلجأ للدين كمخرج يحقق له الشعور بالراحة النفسية والأمن الذى فقده بسبب ما يعانيه من أزمات نفسية واضطرابات انفعالية نتجت عن التغيرات المختلفة التى طرأت عليه. معنى ذلك أن المراهق لا يتقبل أى مبدأ خلقى دون مناقشة فتمتاز فترة المراهقة بكثرة الأسئلة والحوار والمناقشة حول العقائد الدينية، وهذا ما أكدته بعض الدراسات ومن بينها دراسة «فرانزلو سنة ١٩٣٤»، والتى أشارت إلى أن الأطفال الأكبر سنًا يميلون للسؤال عن معلومات كانوا قد تقبلوها فى طفولتهم.

ومن ناحية أخرى، نشير إلى ما يعانيه المراهق من الصراع الفكرى حول ما هو دينى وما هو واقعى، وقد يؤدى ذلك إلى صراع من نوع آخر وهو الشك

فى المبادىء والقيم الدينية نتيجة لما يراه من تيارات فكرية وضغوط اجتماعية وتقاليد بالية ومفاهيم خاطئة وهذا بدوره يخالف عقيدته الدينية الصحيحة، فالمراهقون لا يكتفون بالتفسيرات العادية بل يحتاجون لمزيد من فهمهم للدين بتحليل دقيق وتعليل واضح لأنها فترة الثورة على كل ما هو مألوف، وقد بَيَّنَ «واجنر هيلمر Wagner Hilmar: 1982 » العلاقة بين الدين والمراهقة وتأثير تلك الفترة على المفاهيم الدينية، وأوصى بأهمية الاهتمام بالمراهقين وتوجيه المساعدة إليهم وخصوصًا فيما يتعلق بالدين نظراً لما يؤثر على المراهقين فى تلك الفترة وعلى معتقداتهم الدينية.

فللدين أهمية كبيرة فى مرحلة المراهقة، وهذا ما أشارت إليه بعض الدراسات وهذا يعنى أن الانتماء للدين والالتزام بمبادئه وطقوسه وإقامة شعائره أمر مهم فى حياة المراهق حيث يساعده على مواجهة التغيرات والصراعات المختلفة التى يتعرض لها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فالالتزام بالقيم الدينية يحمى المراهق من الانحراف ومن التورط فى المشاكل السلوكية.

وعلى الجانب الآخر وحول مثيرات الصراع القيمى فى المجال الدينى نشير للآتى:

(١) يعود المثير الأول إلى التناقض بين ما تفرضه تعاليم الدين والمثل الأخلاقية المتعارف عليها وبين الرغبة فى إشباع حاجات الشباب وخاصة ما يتعلق منها بالجنس ومن ثم يلاحظ السلوك الترددى بين التدين وعدمه.

(٢) يعود المثير الثانى إلى أن روح الدين متأصلة فى الشباب والمشكلة إذاً صراع يعيشه ناتج بين ما يتفاعل فى نفسه وإحساسه، وبين تناقضات تنهال على عقله، أما حياته اليومية فهى لا تساعده فى تأكيد إحساسه الدينى بل تناقضه وتشده إلى صراعات ومتاهات وما ينتج عنها من حيرة واضطراب، فهو فى الشارع يرى تبذلاً أو يسمع فحشًا دون أن يرى عقابًا رادعًا أو موقفًا حازمًا بل يرى تفسخًا قيميًا مرخصًا به،

ويرى فى جانب آخر أجهزة الإعلام تتحدث عن الشباب المنحرف أو المتطرف ،....إلخ، من غير أن يقابل ذلك توجيه رشيد.

(٣) مثالية الشباب مع فطرتهم النقية، وقد زاد فى مثاليتهم عرض الإسلام فى أسلوب الماضى وبذلك يبدو الإسلام غريبًا أو فى عزلة عن حياة الشعب المعاصرة ويزيد الأمر تعقيداً محاولة البرهنة على بهاء الدين ومجده بتصوير الواقع الإسلامى فى عهد ازدهاره بصورة تقربه من الفكر الأسطورى، دون النظر إلى الواقع نظرة شاملة تبدو فيها قوى البناء وقوى الهدم معًا فى آن واحد وبغير ذلك تزداد الفجوة بين الشباب وواقعه إذ إن تشويه الماضى والحاضر بتكبير أو تصغير يعنى اضطراب العمل ومعاداة الحاضر والانصراف عنه، ومن منطلق المثالية وهذا العرض المشوه تعلو الصيحات الشبابية لإقامة حكومات دينية.

(٤) محاولات تغريب المجتمع الإسلامى، وقد قابل مثالية الشباب أيضًا عملية تغريب يعيشها العالم الإسلامى ويقول «ويبنى» إن التغريب لم يكن من وضع الأوروبيين بل نتيجة عمل الشرقيين المهنيين من أبناء الطبقة الوسطى وكان فى طليعتهم المحامون والصحفيون، فكل مراكز الدولة الحساسة فى أيديهم، ومن ثم أدخلوا الأساليب الغربية إلى كل مناحى الحياة مما جعل الشريعة الإسلامية تعيش غريبة عن أرضها نتيجة الانصراف العملى عنها مما سبب فى النهاية صراعًا عند الشباب بين قيم أصيلة هنا وقيم وافدة من هناك.

وأرى أن الأمر يزداد خطورة حينما يصور مفكروا الغرب أو الشرق الإسلام للشباب بصورة مشوهة هادفين من ذلك زعزعة الثقة الدينية عندهم، ويصارع الشباب تيار التغريب من جهة، وعرض الإسلام الباهت داخليا من جهة أخرى، ومن ثم تظهر نتائج الصراع على الفرد والمجتمع.

(١٤) المراهقون والتطرف الدينى

يعتبر الشباب من أكثر فئات المجتمع عرضة للتطرف وذلك نظراً لما يتميز به الشباب من خصائص سنية وسمات نفسية، حيث يميل الشباب إلى إحلال ثقافات خاصة بهم محل الثقافات التقليدية للكبار، يحاولون من خلالها التأكيد على الخصوصية وعلى الرغبة فى الاستقلال النسبى والميل للعمل السياسى وعدم الامتثال للقيم والمعايير والأساليب السلوكية السائدة فى المجتمع.

وإذا قامت هذه الاتجاهات بين الشباب على الوعى الجمعى الذى يهيئ المناخ الموضوعى للحركات ذات الأهداف البناءة فإنه يعتبر نموذجًا للثقافة الفرعية الوظيفية التى تخدم التكامل الثقافى للمجتمع، ولكن يحدث أحيانًا أن تظهر ثقافات شبابية تعبر عن تيارات معادية وبذلك تتحول إلى ثقافات غير وظيفية لا تخدم عمليات البناء وتتجه نحو تبنى ثقافة مضادة تعبر عن تحد سافر للقيم والمعايير التى يتقبلها المجتمع، وتتضح فى نزعات التمرد والعصيان والانحراف والسلبية، وتعبر عن وقوعه تحت سيطرة مشاعر القلق والصراع والإحباط والاغتراب ويعتبر التطرف أحد مظاهر الاستجابة لهذه المشاعر.

انطلاقًا من ذلك نشير إلى أن خصائص وسمات المراهقين تجعلهم أكثر تهيئة من غيرهم للاتجاه نحو التطرف وذلك لأنهم (المراهقين) ذوو طابع راديكالى يرفض القديم وينزع إلى التجديد، وكذلك رفض السلطة والتطلع إلى الحرية والعدالة الاجتماعية بالإضافة لميل المراهقين للإقدام على المخاطرة وعدم الأخذ بالنظم التقليدية.

كما يزداد فى مرحلة المراهقة الميل للاستقلالية والاعتماد على الخبرات الشخصية وعدم تقبل السلطة وخاصة تلك التى يحاول فرضها الكبار، بالإضافة للرغبة فى معارضة النظام القائم.

وفى ضوء ما سبق عرضه، يتضح ارتباط مرحلة المراهقة بالتطرف الدينى، حيث أشار الباحثون عند تناول الزاوية الدينية فى المراهقة إلى أن هذه الفترة تتميز بأنها فترة يقظة دينية حيث توضع فيها المعتقدات التى قد كونها الفرد فى طفولته موضع الفحص والمناقشة والنقد وتتعرض لكثير من التعديلات حتى تتفق مع حاجاته الجديدة الأكثر نضجًا، وتعرف اليقظة الدينية بأنها زيادة الاهتمام بالدين الذى يؤدى إلى إعادة تنظيم معتقدات واتجاهات المراهق.

وفى هذا الإطار نشير إلى اختلاف علماء النفس فيما بينهم حول العمر الذى تبدأ فيه اليقظة الدينية حيث إنه من خلال أبحاث كل من: «ستاربوك، زيتربرج، ستانلى هول، البورت»، عن المدى العمرى لليقظة الدينية فى هذه المرحلة خلص أحد الباحثين إلى أن اليقظة الدينية فى مرحلة المراهقة تقع ما بين الثانية عشرة والتاسعة عشرة (١٢ - ١٩ سنة)، ثم تبدأ بعد ذلك فى الاستقرار، وقد تناول الباحثون اليقظة الدينية لدى المراهقين على محورين أساسيين:

أ - العوامل المؤثرة فى نمو اليقظة الدينية.

ب- نماذج وأنماط اليقظة الدينية.

وحول المحور الأول والذى يرتبط بالعوامل المؤثرة فى نمو اليقظة الدينية قامت «اليزابيث هيرلوك Hurlock» بإجمال هذه العوامل والعناصر فى النقاط التالية:

(١) نمو الذكاء (النمو العقلى) لدى المراهق حيث يستطيع أن يقوم بالتفكير فى المعتقدات الدينية التى كان يتقبلها بدون مناقشة أثناء مرحلة الطفولة.

(٢) يتمثل العامل الثانى فى أثر جماعة الأقران حيث يقلد المراهق قرناءه فيما يظهرون من اهتمام بالدين وأيضًا يقلدهم حين يبدأون فى تقييم ولائهم الدينى.

(٣) الظروف الطارئة التى يمر بها المراهق (كالمرض - موت أحد المقربين له) تعطى المراهق دفعة قوية لتقوية اهتمامه بالأمور الدينية.

(٤) البيئة التى ينشأ فيها المراهق تعد من أهم العوامل فى اليقظة الدينية فإذا كانت العائلة، والمدرسة، والجماعات المختلفة التى ينتمى إليها المراهق تهتم بالدين فإن المراهق يساير هذا الاتجاه أكثر مما لو كان قد نشأ فى بيئة أقل تمسكًا بالدين.

وإذا كانت اليقظة الدينية تتميز بفحص المراهق للأفكار والمبادئ الدينية التى تلقاها فى طفولته فإن هذه اليقظة تأخذ أشكالاً عدة فى هذه المرحلة وأنه من الأهمية التعرض لهذه النماذج حيث يتضح من خلالها كيفية تكوين الاتجاهات الدينية المتطرفة لدى المراهق. فى هذا الإطار تشير «هيرلوك Hurlock» إلى أن اليقظة الدينية فى مرحلة المراهقة تأخذ شكلين أو تظهر من خلال نموذجين هما:

(١) **النموذج أو النمط التدريجى**: وفى هذا النمط يقوم المراهق بفهم المعتقدات الدينية بشكل هادئ مما يؤكد على الاتجاهات الدينية الصحيحة التى تتوافق مع احتياجات سنوات المراهقة.

(٢) **النموذج أو النمط المفاجئ**: ويتميز هذا النمط باهتمام المراهق المفاجئ بالدين وفى هذا النمط يشعر المراهق بالخجل من جراء خبراته مما يجعله يشعر كذلك بالتوتر الانفعالى الشديد.

ونشير إلى أن النماذج السابقة تتسق مع أشكال اليقظة الدينية التى ساقها «عبد المنعم المليجى» حيث أشار إلى أن الحماس الدينى هو أول مظهر من مظاهر اليقظة الدينية لدى المراهقين، فالنمو الجديد يدفع المراهق إلى مراجعة موقعه لا شعوريًا من العالم بعامة ومن الدين على وجه الخصوص، فمعتقدات الطفولة أصبحت لا ترضى حاجاته المتجددة والمتطلعة إلى آفاق جديدة، والحماس الدينى يأخذ مظهرين هما:

أ - الحماس الإيجابى.

ب- الحماس الخرافـى.

وفى هذا الإطار وحول المظهر الأول للحماس الدينى والذى يتمثل فى الحماس الإيجابى، يشير «عبد المنعم المليجى» قائلاً: يتميز موقف الفرد المتحمس تحمسًا إيجابيًا بأنه موقف المجدد للدين الذى يهدف إلى تنقية الدين من الشوائب وتحريره من الجمود، وقد يخرج المراهق فى عملية تطوير الدين هذه على كثير من التفاصيل التى كان يراعيها من قبل وبذلك يعد المراهق لا مجدد فحسب بل ومتمرد أيضًا على الدين التقليدى وممثليه، ومن هنا كان الهجوم الذى يشنه المراهق على رجال الدين التقليديين لجمودهم، ولذلك نعتبر أن الحماس الدينى الإيجابى هو الدافع وراء تمرد المراهق على السلطة القائمة.

كما يشير العلماء عند تناولهم للمظهر الثانى للحماس الدينى والذى يتمثل فى «الحماس الخرافى» إلى أن المراهق قد يكون ذا عقلية بدائية طفلية بطريقة سحرية ذات نزعة وسواسية، ويتوسل إلى تحقيق أغراضه بالسحر ويجد هذا المراهق راحة كبيرة فى الركون إلى الدين ويغالى فى تأدية الطقوس والعبادات ويضيف عليها إرضاء للنزعة الوسواسية المغلغلة فى نفسه، وبهذا يعد الإمعان فى هذا النمط من الحماس عَرَضًا مُرْضيًا وحلا للصراعات النفسية بأسلوب تخيلى ويعد أصحاب هذا النوع من الحماس تربة صالحة للاعتقادات الفاسدة والأفكار المتعصبة.

ومن ثم، نشير إلى أن مرحلة المراهقة تحتاج إلى عناية خاصة وتركيز من جانب المربين تجاه الدين، لأن الدين الوازع الأول والموجه والمرشد لسلوكهم ويجنبهم الوقوع فى الخطايا والرذائل، ويجب تقديم المفاهيم الدينية الصحيحة لتصحيح ما لديهم وما يطرأ على دينهم من أفكار دخيلة وتضليل لعقائده وشرائعه من أعداء الإسلام حتى يقوى إيمانهم وتتحقق لديهم السلامة الفكرية فى اتجاهاتهم وآرائهم ويصبح الدين سلوكًا فى حياتهم.

فى ضوء ذلك نشير إلى أن مرحلة المراهقة تختلف عن المراحل الأخرى حيث تتفتح فيها استعدادات المراهقين وقواهم النفسية للاتصال بالوجود، كما أنها مرحلة التأثير بالمثل العليا فالأفراد لا يكتفون من المعارف الدينية بالتصور والفهم بل يطلبون تفسيراً عقليًا وتحليلاً صحيحًا للأسس التى يبنون عليها معرفتهم خاصة وأن مغريات الحياة وبريقها وما يدور حولهم من تيارات فكرية واتجاهات مذهبية هدامة تتخذ أفكارها ووسائلها المتعددة لجذبهم تجاهها.

فالمراهقون قد تختل موازين القيم والأخلاق عندهم، وقد يتعرضون للتيارات الفكرية المنحرفة أو المذاهب المتطرفة التى تدفعهم إلى التمرد، ولذا فإنه فى هذه المرحلة يحسن التركيز على القيم الدينية وعلى السلوك الاجتماعى الذى يرتضيه الدين ولهذا فأهداف التربية الدينية الإسلامية فى هذه المرحلة هى:

(١) دعم العقيدة الإسلامية فى نفس المراهق وإثارة وجدانه الدينى الذى يوجهه إلى الخير ويعصمه من الشر.

(٢) دعم الإيمان فى نفس المراهق بما شرعه الإسلام من عبادات ومعاملات بالتفكير الحر والمنطق السليم.

(٣) دعم إيمان المراهق بالقرآن الكريم بالتعرف على وجوه إعجازه وما يشتمل عليه مما يحقق سعادة الفرد والمجتمع واستمرار اتصاله به وحفظ جزء منه مع فهم معناه الإجمالى.

(٤) دعم إيمان المراهق بالسنة النبوية والتعرف على مصادر التشريع الإسلامى وعلى أئمة هذا التشريع.

(٥) حماية الإسلام من أباطيل خصومه ومواجهتها بالحقائق العلمية التى تظهر بطلانها.

(٦) تهيئة القدوة الصالحة له بعرض نماذج إسلامية ذات أثر فى الدين أو فى العلم أو فى الحياة.

(٧) اعتزازه بالإسلام اعتزازاً يجعله موضوع اهتمامه وتقديره واتباعه والدفاع عنه.

(٨) اهتمامه بالعالم الإسلامى والمشاركة فى كل عمل يعود عليه بالنفع والفائدة.

(٩) إيمانه بالنظام الأمثل الذى شرعه الإسلام للأسرة حتى تستقر وتسعد، وللدولة حتى تنهض وللعالم حتى يسوده السلام والرخاء فى ظل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ومن ناحية أخرى نؤكد على ضرورة تنمية وعى المراهق الدينى بشكل بناء يحفظ له عقيدته من الإلحاد والانحراف من خلال تقديم المنهج للآراء والحقائق الدينية الصحيحة التى تتيح له الحكم على التيارات الفكرية المعاصرة بأسلوب منطقى مقنع يقوم على الحجة والبرهان، وأيضًا تبصير المراهق بقدرة الإسلام على تنظيم الحياة بكل ما فيها من أبعاد، بالإضافة إلى إتاحة فرص ومواقف تعليمية مناسبة للطالب (المراهق) تسمح له بالمناقشة وإبداء الرأى فى المسائل والقضايا المتعلقة بموقف الفكر الإسلامى من القضايا الحياتية المعاصرة.

«تلخيـــص»

من خلال هذا الكتـاب - عزيزى القارئ - تناولنا فصلين رئيسـين الأول بعنوان «التطرف الدينى» ومن خلاله تم عرض مقدمة تمهيدية اتضح مـن خلالها أن التطرف الدينى ظاهرة دولـية عـالمـية قديمة قدم الإنسانيـة وأن المتـشددين موجودون فى كل فكر ومذهب وملة.

ولتـحديد ماهيـة التـطرف الدينى تمت الإشـارة للتـعـريفـات: اللغـوية - الإحصائيـة - الاجتماعيـة - النفسيـة - الدينية، ومن خلال تلك التـعـريفات استـخلصنا أن التطرف سواء كـان (دينيًا - اجتمـاعيًا - ... إلخ) يقصد به الغلو والتـشدد وتجاوز حد الاعتدال، وهذا يعنى أن للتطرف أنواعًا عديدة منها التـطرف: الدينى - السـياسى - الاجتـمـاعى - الفكرى السلوكى ...إلخ، وللتطرف الدينى مظاهر لعل أهمها: التعصب الجمود - التشدد - المغالاة.

ويتفق معظم العلماء فيما بينهم على أن التطرف الدينى ليس له أى آثار إيجابيـة، وإنما كـل آثاره سلبيـة، فـالتـطرف الدينى حالة من الجمـود والانغـلاق العـقلى وتعـطيـل القـدرات الذهـنيـة عـن الإبـداع والابـتـكار وإيجـاد الحلـول للمشكلات المتغيرة فى عـالم سريع التغير، وعلى ذلك يكون انتشار هذه الحالة مـهدداً لا لـتطور المجـتـمع فـحسـب بل لبـقائـه واستـمـراريتـه لأنه (أى التـطرف الدينى) يعطل الطاقات الإنسـانية كافـة ويسـتنزفـهـا، فـحين يطغى التطرف الدينى يصبح المجتمع عاجزاً عن التفكير فى حلول مبدعة لمشكلاته وعن تطوير ذاته ومن ثم يصبح تابعًا ويفقد استقلاليته وتحديد مصيره ومستقبله.

كما أن للمتطرفين دينيا سمات وخصائص، فعلى المستوى السيـكولوجى يتسمون بالتشدد والتعصب وعدم الثقة فى الذات وفى الآخرين ... إلخ.

ولتكويـن رؤية واضحة شاملة لأبعاد ظاهرة التطرف الدينى كان لا بد من التـعرض للمحددات الاجتماعيـة والاقتـصادية والسياسيـة للبناء الاجتـماعى «Social Structure» وكذلك التـغيـرات الاجتـماعيـة المختلفة التى تتـعرض لها

النظم الاجتماعية «Social Systems» هذا إلى جانب الآراء ووجهات النظر التى خرجت من قبل بعض الباحثين لتفسير أسباب وعوامل ظاهرة التطرف الدينى مع تدعيم تلك الآراء بنتائج دراسة حديثة قمت بإعدادها حول أهم الدوافع الكامنة وراء تطرف المراهقين والمراهقات تطرفًا دينيًا، بالإضافة لبعض النظريات السوسيولوچية السيكولوجية كإطار لتفسير تلك الظاهرة.

ثم كان لا بد من الإشارة لموقف الإسلام الصريح الواضح من التطرف الدينى والتعصب الأعمى والجمود والتصلب والتشدد، ذلك الدين الذى يحث على الاعتدال والوسطية ونبذ التطرف والتعصب فالدين الإسلامى يدعو للحوار والمناقشة والشورى فهو ذو منهج معتدل متسامح وأسلوب بعيد عن المغالاة.

أما الفصل الثانى فجاء تحت عنوان «المراهقون» ومن خلاله أشرنا فى البداية لمقدمة تمهيدية اتضح من خلالها أهمية مرحلة المراهقة والتى تقابل كلاً من المرحلة الإعدادية والمرحلة الثانوية، ثم أشرنا لمفهوم المراهقة ومشكلة تعدد التعريفات، وأهم النظريات المفسرة لها كمرحلة عمرية مهمة ومؤثرة فى حياة الفرد، كذلك تم توضيح الفرق بين المراهقة والبلوغ وذلك لتجنب الخلط بينهما.

ولفهم تلك المرحلة - المراهقة - كان لا بد من تناول السمات والخصائص التى تميزها عن المراحل العمرية الأخرى، وانطلاقًا من تلك السمات أدركنا ميول المراهقين، هذا إلى جانب توضيح مختصر لأهم مظاهر النمو فى تلك المرحلة، وذلك من خلال معرفة التغيرات المختلفة التى طرأت على جميع جوانب شخصية المراهق، ومن ثم أهم مطالب وحاجات المراهقين المترتبة على هذا النمو، كما ألقينا الضوء على أهم المشكلات التى تواجه المراهقين وتعوقهم عن النمو السوى.

بعد ذلك انتقلنا لأهم الجماعات الاجتماعية المؤثرة فى حياة المراهقين والتى تتمثل فى: الأسرة - المدرسة - جماعة الأقران، حيث نؤكد على أن تلك الجماعات إنما تشكل أهمية وخطورة كبيرة على حياة المراهق فهى إما تدفعه للطريق السوى الصحيح وإما لطريق: الانحراف، التعصب، اعتناق الفكر الدينى المتطرف والسلوك الإرهابى، ...إلخ.

ثم تناولنا عدداً من الأبعاد الأخرى أرى أنها تشكل أيضًا أهمية وخطورة كبيرة على حياة المراهق، فتعرفنا على أهمية العلاقات العائلية للمراهق وتأثير تلك العلاقات على نموه السوسيولوچى والسيكولوچى، أيضًا تعرضنا لأزمة الهوية والتى تمثل أخطر مشكلات مرحلة المراهقة والتى تنشأ من عدم فهم المراهق لذاته الجديدة وتقبلها ، هذا بالإضافة لتوضيح العلاقة الوثيقة بين مرحلة المراهقة وبين السلطة الوالدية، المعاناة من الصراع القيمى، اعتناق الفكر الدينى المتطرف.

ثم تناولنا مدى أهمية الدين للمراهق، ومدى احتياج المراهق لإشباع ما لديه من رموز عينية لتوضيح مفهومها لأنها مرحلة الاستقلال الفكرى حيث يبدأ المراهق بوضع تصوره الخاص والذى يحتاج لإشباع ما لديه والقضاء على الصراعات التى تدور فى داخله والتى قد تؤدى لزعزعة العقيدة الدينية لديه، كما تبين أهمية هذه المرحلة العمرية فى حياة المراهق والتى تحتاج لتوجيه وإرشاد دينى ليمكنه تجنب العوامل المؤثرة على عقائده وديانته لتثبيت عقيدته وتقوية دينه، ولذلك تكون للثقافة الدينية أهميتها فى هذه المرحلة ويقع الدور الأكبر على المربين والقائمين على العملية التعليمية بتوفير المناخ والبيئة التى تساعدهم على النمو الدينى السوى وإمدادهم بمتطلباتهم، وحاجاتهم من المفاهيم الدينية الصحيحة التى تمكنهم من مواجهة ما يعترض عقيدتهم الدينية وتثبيتها فى نفوسهم.

وأخيراً يمكن القول: إن المراهقة رغم أنها مرحلة المثالية والآمال والطموح وفرص النمو الشخصى وتحقيق هوية ذاتية، إلا أنها المرحلة التى يقل فيها الشعور بالرضا ويظهر فيها القلق والاكتئاب ويزداد معدل المشاغبة والجنوح، وتظهر فيها محاولات الانتحار وتشهد بداية التدخين والإدمان، واعتناق الفكر الدينى المتطرف، وغيرها ولذلك فالمراهقون أكثر احتياجًا من غيرهم للتوجيه السليم والمناقشة الحرة الواعية المدركة لكافة التيارات والاتجاهات والأفكار العالمية، ونوع القيم والمبادئ السائدة والموقف من كل منها ، وأن نخضع تفكيرنا ومناقشاتنا معهم للواقع الموضوعى كما يتمثل فى مجموعة ظروفنا وأحوالنا وأحكام ديننا ، حتى يتبين المراهق حقيقتها ويستقيم به الطريق.

« خاتمـــة »

وأخيراً ... أرى ضرورة الالتزام بالآتى:

(١) التربية الدينية داخل المدارس عليها أن تغرس فى المراهقين قيمًا دينية حتى يستطيعوا أن يلتمسوا الحلول لمشكلة تشغل بالهم حتى يحسوا من أعماقهم أن الدين متصل بحياتهم وأنـه منظم لها ويجدون فيه الأمن والسلام.

(٢) الكتاب المدرسى للتربية الدينية الإسلامية عليه أن يؤسس الشخصية التى يود المجتمع الإسلامى أن يكونها فنحن نريد شخصية إسلامية تتمسك بالعقيدة الصحيحة والأسوة الحسنة.

(٣) ضرورة مراجعة المفاهيم والتصورات التى تستخدم فى وصف وتشخيص تطرف الشباب المصرى، هذه المفاهيم والتصورات تدفع البعض إلى التحيز ضد الشباب والمراهقين مثل مفاهيم التمرد والعصيان والرفض، والابتعاد عن المعايير والقيم، وهذا جعل البعض يلجأ إلى استهجان هذا السلوك وإدانته بدلاً من البحث عن دوافع هؤلاء المراهقين وحاجاتهم النفسية غير المشبعة.

(٤) يجب تطوير مناهج وكتب التربية الدينية تطويراً يحقق غرس القيم فى نفوس النشء، وإن من الأسس التى يجب أن تراعى فى وضع المناهج الدراسية الدعوة للتمسك بالفضائل والقيم الروحية الدينية إلى جانب تطبيق المثل العليا فى الحياة كسلوك وعمل وليس مادة تحفظ وتنسى.

(٥) يجب زيادة الجرعة الدينية والاهتمام بالتربية الدينية فى المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية من حيث الشكل والمضمون، بحيث يتم عرض المفاهيم الدينية الصحيحة، مع إضافة درجات مادة التربية الدينية إلى المجموع الكلى لدرجات الطلاب، أى يجب اعتبار مادة التربية الدينية مادة أساسية من مواد الامتحان.

(٦) ضرورة العناية بتنشئة الأجيال الصاعدة فى الأسرة على الإيمان بالقيم الروحية المستمدة من رسالات السماء ومن الثقافة العربية الأصيلة واتخاذها أساسًا للسلوك والتعامل.

(٧) أن يكون قادة الاتحادات الطلابية على كافة المستويات قدوة طيبة فى الدين والخلق والمعاملة ودعاة خير ورسل فضيلة، وأن يكافحوا الفساد والمعتقدات الخاطئة ما استطاعوا حتى يحتفظ الدين بجوهر رسالته.

(٨) تشجيع المراهقين على تكوين جماعات للنشاط الثقافى أو الدينى أو الاجتماعى لاستغلال ميلهم إلى الارتباط بالجماعة.

(٩) توسيع خبرات المراهق ومعرفته للجماعات الفرعية فى المجتمع.

(١٠) تشجيع المراهق على تقليد المتفوقين وتقليد البطولات والأعمال فى المجالات المستطاعة وليجعل المدرس نفسه قدوة لتلاميذه.

(١١) استغلال جماعات النشاط لتوجيه المراهقين عمليًا إلى إدراك قيمة التآخى والمودة مع الآخرين.

(١٢) احترام ميل المراهق ورغبته فى التحرر والاستقلال دون إهمال رعايته وتوجيهه بطريقة غير مباشرة.

(١٣) ترك الحرية للمراهق فى اختيار أصدقائه مع توجيهه والتأكد من سلامة المعايير الاجتماعية السائدة بين أصدقائه.

(١٤) أن تتضافر جهود المحيطين بالمراهق من بيت ومدرسة ووسائل إعلام وجميع المؤسسات فى توعية الشاب المراهق دينيًا ليس عن طريق الوعظ والإرشاد الدينى فقط بل بالقدوة السليمة والإقناع العقلى.

(١٥) تعويد الطفل على حرية الرأى والمناقشة حتى إذا ما جاءت مرحلة المراهقة ناقش أموره بوضوح وتمكن من حل مشكلاته المرحلية.

(١٦) مساعدة المراهق على إيجاد غايات كبرى يسعى لتحقيقها وتكون موجهة لسلوكه العام وليكن ذلك بطريق غير مباشر لأن المراهق فى هذه المرحلة يكون فى طور عناد مع الكبار.

(١٧) العمل على نشر الثقافة الدينية بين المراهقين.

(١٨) دعم النمو الخلقى عند المراهق وتدعيم تمسكه بالدين.

(١٩) مساعدة المراهق للتخلص من التعصب الدينى ضد الأديان الأخرى.

(٢٠) ضرورة أن يكون الأساتذة قدوة فى الأخلاق التربوية الحميدة التى تجعل منهم مثلاً أعلى للطلاب المراهقين حتى تكون العملية التعليمية فعالة وهادفة، ويسمح من خلالها بالتواجد الذاتى للطلاب داخل قاعات الدروس وبصورة تنمى فى الشباب الرغبة فى الاعتماد على النفس والثقة بما يلائم المرحلة السنية للشباب.

(٢١) ضرورة أن تستعين المدرسة بعدد من رجال الدين المتميزين لتولى إدارة المساجد وتولى شئون التوجيه والثقيف الدينى بها بما يقطع الطريق على الراغبين فى الهيمنة على تلك المساجد أو توظيفها فى الترويج لفكر معين.

(٢٢) العمل على إعلاء قيمة رجال الدين فى نظر الشباب بما يعيد لهم مصداقيتهم بين الشباب، ويعينهم على القيام بواجباتهم.

(٢٣) ضرورة عقد لقاءات دورية بين الطلاب المراهقين والمسئولين بالمدرسة تقوم على الحوار والمناقشة وتناقش فيها كل القضايا المتصلة بالطلاب، لتربية الشباب على الأساليب الإيجابية فى الحوار.

(٢٤) يجب إغلاق كل مدرسة تحض على التطرف الدينى.

(٢٥) ضرورة وضع خطة لمواجهة التطرف، تشترك فيها مع الأزهر الشريف وزارة الأوقاف والإعلام والتعليم والشئون الاجتماعية والشباب والمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية وكذلك وزارة الداخلية.

(٢٦) تكثيف جهود علماء الدين لتوعية الشباب بالمفاهيم الدينية الصحيحة، فيجب على علماء الدين والمفكرين القيام بدور أكبر فى مجال حماية الشباب والمراهقين من الأفكار المنحرفة وتوعيتهم بالمفاهيم الدينية

الصحيحة وتقديم الثقافة الإسلامية للشباب بشكل ميسر بعيداً عن الخلافات المذهبية.

(٢٧) تنمية التفكير الناقد.

(٢٨) تعويد الطلاب على ممارسة التفكير العلمى الذى يحتمل الثواب والخطأ تأكيداً لحاجة العقل الإنسانى إلى المرونة The Flexible وتقبل الآخر وعدم استبعاده وكلها من أسس الديمقراطية لأنها تقبل التعدد والتغير والتجدد والتطور والنقد والتجريب، ولا تحتكر الحقيقة ولا تدعى الإطلاقية والثبات فى أحكامها، بل تتسم نتائجها وأحكامها بالرغم من طابعها الكلى بالنسبية والموضوعية.

(٢٩) التعود على تقبل القضايا الخلافية باعتبار أن الاختلاف فى الرأى ظاهرة إنسانية لا يصح أن يقابل بالرفض والاستبعاد، ولا يفسد للود قضية.

(٣٠) التعود على احترام شخصيات الآخرين وعدم امتهان الآخر أو التقليل من شأنه باعتبار أن هذا الاحترام تثبيت لقيم الإنسان.

(٣١) نظراً لأن وسائل الإعلام وخاصة الإذاعة والتليفزيون مكملة للتثقيف الذى يتم داخل المدرسة، فإن هذه الوسائل تقدم نماذج للممارسات التى تؤثر فى سلوك الطلاب والشباب فى المدارس فيجب أن يُراعَى فى النصوص والبرامج الإذاعية والتليفزيونية الأهداف التى تؤكد على مفهوم التعددية وتقبل الآخر بحيث يكون الأثر والانطباع الذى تتركه هذه البرامج مؤثراً تأثيراً إيجابيًا يحقق مفهوم التعددية والحرية والديمقراطية الصحيحة والتعايشية مع الاختلاف مع الآخرين والنظر إلى هذا الاختلاف على أنه مصدر ثراء وليس مصدر كراهية واستبعاد.

(٣٢) مواجهة الفكر بالفكر الصحيح، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال الاعتماد على علماء متخصصين فى شتى مناحى الفكر الإسلامى وزيادة عدد الدعاة من ذوى الكفاءة وانتقائهم وفق معايير فقهية وعلمية تؤهلهم لدور القيادة وخدمة أهداف الدعوة.

(٣٣) يجب وضع التدابير الملائمة للحد من أزمة البطالة بين الشباب واستثمار كافة العناصر البشرية الشابة.

(٣٤) ضرورة التنسيق بين مختلف وحدات وأجهزة الإعلام بخصوص وسائلها الإعلامية الموجهة للشاب والمراهق حتى لا تصطدم هذه الجهود بعضها بالبعض الآخر، فمثلاً قد يبث التليفزيون فى برامجه بعض القيم والسلوكيات غير المرغوب فيها فيضيع تأثير الأسرة والمدرسة، نظراً للتعايش اليومى بين المراهق والتليفزيون، ويستتبع ذلك الرقابة الصارمة على الأفلام والبرامج التى يعرضها التليفزيون نقلاً عن تليفزيونات الغرب أو من إنتاجه لأنها قد تحمل قيمًا بمبادئ تصطدم بمبادئ وقيم سائدة أو مرغوب فيها، فيجد المراهق نفسه أمام تناقض مما يجعله يتشكك فى كل الرسائل الإعلامية ولا يصدقها.

(٣٥) ضرورة ربط التعليم بأهداف المجتمع وذلك من خلال تطوير المناهج الدراسية لتناسب القيم المستهدفة والقيم السائدة ولتحتوى على الموضوعات التى تساهم فى التنشئة السليمة، نظراً لأهمية دور المدرسة البالغ الأهمية فى عملية التنشئة عمومًا والتنشئة الدينية خصوصًا.

(٣٦) المطالبة بإفساح الوقت للأنشطة الرياضية والثقافية وتوسيع نطاق المشاركة الجادة للمراهق فى خدمة مدرسته وإدارتها، لأن المشاركة المدرسية تزرع فى وجدان الطالب المراهق مدى أهمية هذه المشاركة لبناء نفسه ومجتمعه وبالتالى يصبح سياسيًا مشاركًا وممارسًا فى المستقبل.

(٣٧) ضرورة التوعية المستمرة بدور الأسرة المهم فى بناء المراهق دينيًا وسياسيًا واجتماعيًا.

(٣٨) لا بد من بذل الجهود لإقامة المكتبات العامة الخاصة بالمراهقين والشباب، كما يجب ضرورة إيجاد مكتبة مدرسية على مستوى معقول فى كل مدرسة ثانوية وإعدادية بل وابتدائية أيضًا، مع فتحها للطلاب طوال اليوم باشتراك يتم تحصيله مع المصروفات المدرسية وذلك لخدمة الطلاب من أجل المزيد من الثقافة والتحصيل والتنشئة السليمة.

(٣٩) المعالجة الصريحة لمختلف القضايا المثارة فى المجتمع من المنظور الإسلامى وذلك لتبصير الشباب والمراهقين بمختلف أبعاد هذه القضايا على هدى القرآن الكريم والسنة النبوية.

(٤٠) التبصير بحقيقة التيارات والمذاهب الضالة عن صحيح العقيدة الإسلامية والرد على ما تثيره من أفكار مضللة وتثبيت العقيدة الإسلامية الصحيحة فى نفوس الشباب والمراهقين.

(٤١) تبنى الدعوة إلى إجراء حوارات متصلة مع الشباب وبخاصة المتهم منهم بالتطرف الدينى وأن يشارك فى هذه الحوارات نخبة من علماء الدين الذين يحظون بثقة الشباب لتصحيح المفاهيم الدينية الخاطئة لديهم.

(٤٢) التوعية بالأنشطة الفكرية فى مجال الثقافة الإسلامية سواء كانت ندوات أو مؤتمرات أو كتب جديدة.

(٤٣) العناية بالحوار الحضارى من خلال مناقشة الأفكار الوافدة وبخاصة من الغرب وتقويمها بميزان الإسلام والتمييز بين ما يدخل منها فى إطار الغزو الفكرى وما يعتبر ثقافة إنسانية عامة، وذلك بما يحقق مزيداً من التواصل بين المسلمين والعالم وفى الوقت نفسه لا يجعلهم يذوبون فى ثقافة الغير وبخاصة الشباب والمراهقين فهم أكثر الفئات تأثراً بالثقافة الغربية.

(٤٤) يجب على وسائل الإعلام المساهمة فى إيقاظ الرأى العام فى العالم العربى والإسلامى وتوعيته بحقيقة ما تروج له القوى الإعلامية الغربية من صور دعائية خاطئة حول تأييد الإسلام للتطرف، وتبصيرهم بما قد يترتب على مثل هذا النوع من السياسات الإعلامية من أخطاء تضر بقضاياهم ومصالحهم.

(٤٥) التعرف على مظاهر التغير الثقافى والاجتماعى فى المجتمع والتى قد تعوق عملية التنشئة الاجتماعية الإسلامية السليمة وذلك لتحديد وسائل مواجهتها من خلال الفكر التربوى الإسلامى.

(٤٦) الاهتمام بإعداد الدعاة وتزويدهم بالعلوم الدنيوية بالإضافة إلى علومهم الدينية حتى يتسنى لهم مواجهة الوافد من التيارات والثقافات التى قد يشكل وجودها خللاً فى التنشئة الاجتماعية الإسلامية.

(٤٧) الاهتمام بوسائل شغل أوقات الفراغ بحيث تعمل على إبعاد الشباب عن مزالق الانحراف وراء اتجاهات أو تيارات مضللة متطرفة تهدم ما تشيده التنشئة الاجتماعية الإسلامية.

(٤٨) ضرورة اهتمام كليات التربية بإعداد معلم اللغة العربية وذلك بتزويد حصيلته من القرآن الكريم والسنة النبوية حتى يتخرج معلم كفء يستطيع أن يقوم بدوره على الوجه الأكمل.

(٤٩) يجب شرح طبيعة الإسلام التى لا تتعارض والتقدم والتطور بصورة تتوافق مع طبيعة المجتمعات المعاصرة.

(٥٠) يجب تجريد ظاهرة التطرف الدينى من صلتها بالإسلام وأن يكون هذا هدفًا من أهداف الذين يعرفون الإسلام قدراً وفكراً وروحًا ونصًا ورسالة وغاية، فعلى الدول الإسلامية أن توحد جهودها ضد هذه الظاهرة التى شوهت صورة الإسلام دوليًا، حتى تظهر للعالم حقيقة الإسلام الذى ينبذ الغلو والتشدد والتطرف بكافة أنواعه.

المراجـــــع

١ - أحمـد أبـو الوفـا : الشريعة الإسلامية وظاهرة الإرهاب الدولى، مجلة البحوث والدراسات العربية، العدد (١٩)، سنة ١٩٩١.

٢ - أحمد كمال أبو المجد : التطرف الدينى عند الشباب - أبعاد المأساة - القاهرة، دار المعارف، سنة ١٩٨٢.

٣ - المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : بحث الحركات الدينية المتطرفة، بحث غير منشور، سنة ١٩٨٢.

٤ - حسنين توفيق : العنف السياسى فى مصر بين احتمالات الاستيعاب وإمكانات المواجهة، مركز البحوث والدراسات السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، سنة ١٩٩١.

٥ - دينسوف . ف : نظريات العنف فى الصراع الأيديولوچى، ترجمة سحر سعيد، دمشق، دار دمشق للطباعة والنشر، سنة ٢٠٠٣.

٦ - زينب سالم : التطرف الدينى «استطلاع رأى عينة من طلاب وطالبات المرحلة الثانوية فى المرحلة العمرية من (١٤-١٧) سنة، رسالة ماچستير، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، سنة ١٩٩٨.

٧ - زينب سالم : الدوافع النفسية والاجتماعية لتدخين السجائر لدى عينة من طلاب وطالبات المرحلة الإعدادية والثانوية فى المرحلة العمرية من (١٢-١٧) سنة دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، سنة ٢٠٠٢.

٨ - شاكر عبد المنعم : الإرهاب الدولى قضية لها تاريخ، القاهرة، دار المعارف، سنة ٢٠٠١.

٩ - عاطف فؤاد : العنف والدولة، مكتبة الحرية الحديثة، ط١، سنة ١٩٩٢.

١٠- عمرو هاشم : التطرف والإرهاب «دراسة اجتماعية نفسية سياسية»، القاهرة، مدبولى، سنة ١٩٩١.

١١- فهمى هويدى : التدين المنقوص، الناشر غير مبين، ط١، سنة ١٩٨٧.

١٢- محمد سعيد العشماوى : التطرف الدينى وأبعاده السلبية «أمنيًا وسياسيًا واجتماعيًا»، مجلة المنار، العدد (٣٦)، ديسمبر، سنة ١٩٨٧.

١٣- محمد الأحمدى أبو النور : الخطوط الفكرية ومشاكل الشباب المسلم، ضمن بحوث مؤتمر مشكلات الشباب فى العالم الإسلامى، القاهرة، المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية، سنة ١٩٨١.

١٤- هربـــــرت ماركيـــــوز : نحو ثورة جديدة، ترجمة عبد اللطيف شرارة، بيروت، دار العودة، سنة ٢٠٠٣.

١٥- يوســـف القرضـــــاوى : الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، دولة قطر، ط١، سنة ١٩٨٥.

16- Allport, G: The religious context of Prejudice Psychological Abstracts, 41, (9), 2000.

17- Ames Edwards: The Psychology of religious Experience, New york, 2001.

18- Dreger, M: Religious Behaviour London, 2000.

19- Khalique, W: Pragmatism, New york, 1999.

20- Leiter, N: Some Personality Factors in extreme Religiosity Dissertation Abstract International, (31), (5-B), 2002.

رقم الإيـــداع :
٢٠٠٥/ ٧٨٦٨
الترقيم الدولى :
977 - 294 - 341 - 7

مطـابــع آمـــون
٤ ش الفيروز متفرع من إسماعيل أباظة
لاظوغلى - القاهرة
تليفون : ٧٩٤٤٥١٧ - ٧٩٤٤٣٥٦